AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

www.magmj.com

(ISSUE No. 1964) 6 - 12 August 2011 (Year 42)

العدد (١٩٦٤) ٦ - ١٢ رمضان ١٤٣٢هـ / ٦ - ١٢ أغسطس ٢٠١١م (السنة ٤٢)

الكويت: جمعية الإصلاح تنفذ مشروع إفطار الصائم في ٢٢ دولة

المعارض السوري «ملهم الدروبي»:

عرضنا تشكيل مجلس انتقالي يعدّل الدستور ويُجري انتخابات برلمانية ورئاسية خلال عام

محنة اللاجئين السوريين على الحدود التركية واللبنانية

لاجئون يسكنون المخازن والجراجات!!

د. محمد بن موسى الشريف يكتب:

معركة العاشر من رمضان.. فارق بين عهدين

الشيخ عكرمة صبري خطيب الأقصى:

ضغوط دولية لمنع الدعم عن القدس وأهلها!

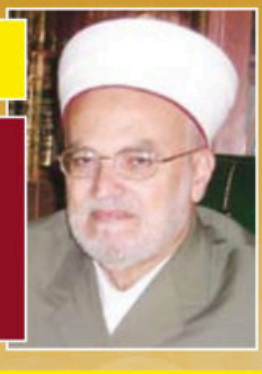

في ظل الحصار والبطالة..

أهالي غزة يستقبلون رمضان بجيوب «فارغة»!

الندوة العالمية للشباب الإسلامي:

أطلقنا خمس حملات إغاثة إلى ليبيا

تفجير «أوسلو» ومذبحة «أوتويا» بالنرويج

المتهم.. التطرُّف المسيحي أم الإعلام المضلِّل؟!

الكاتب الأمريكي «جون فيفر»: اليمين الأوروبي يعيد إنتاج الحروب «الصليبية»!

الكويت ٥٠٠ فلس. السعودية ٥ ريالات. البحرين ٦٠٠ فلس. قطر ٦ ريالات. الإمارات ٦ دراهم. سلطنة عمان ٧٠٠ بيسة. الأردن دينار. لبنان ٣٠٠٠ ليرة. المغرب ١٥ درهماً

USA $ 3 - Canada $ 4 - Australia AUD 4 - URB - India INR 65 - Pakistan PRS 65 - Turkey TRY 4,5 - U.k £ 2

بسم الله الرحمن الرحيم

المجتمع

AL-MUJTAMA'A

إسلامية. أسبوعية تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

العدد ١٩٦٤ السنة (٤٢)

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبدالله علي المطوع

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
حمود حمد الرومي

نائب رئيس التحرير
محمد الراشد

مدير التحرير
شعبان عبدالرحمن

المخرج الفني
مجدي شافعي

موقع المجتمع على الإنترنت:
www.magmj.com

المراسلات
العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠)
الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)
بريد التحرير الإلكتروني:
mujtamaa@gmail.com
info@almujtamaa.com
موقع جمعية الإصلاح:
www.eslah.com
هاتف التحرير: ٢٢٥١٩٥٣٩ - ٢٢٥١٤١٨٠.
٢٢٥١٣٦١٦. ٢٢٥٢٨٦٨٤ (داخلي ١٠٥).
فاكس المجلة: ٢٢٥٦٠٥٢٤ - ٢٢٥٢١٨٢٦
الاشتراكات والتوزيع: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦
sales@almujtamaa.com

www.magmj.com

في هذا العدد

موضوع الغلاف

تفجير «أوسلو» ومذبحة «أوتويا» بالنرويج
المتهم.. التطرُّف المسيحي أم الإعلام المضلِّل؟!

محنة اللاجئين السوريين على الحدود التركية واللبنانية ١٦
ملهم الدروبي: عرضنا تشكيل مجلس انتقالي يعدل الدستور ويجري الانتخابات بسورية ٢٠
الشيخ عكرمة صبري: ضغوط أمريكية لمنع الدعم عن القدس ٢٨
أهالي غزة يستقبلون رمضان بجيوب «فارغة» ٣٠
جوائز الصائمين.. الشيخ أحمد القطان ٣٥

الاشتراكات:

الكويت ودول الخليج:
٢٠ ديناراً كويتياً أو ما يعادلها..
باقي أنحاء العالم:
١٠٠ دولار أمريكي.
للمؤسسات والشركات:
٤٥ ديناراً كويتياً..
باقي دول العالم:
١٥٠ دولاراً أمريكياً.

الإعلانات:

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة الخليج:
ت: ٢٤٨٤١٠٦٧ - ٢٤٨٤١٠٤٥
ف: ٢٤٨٤١٠٢٦ - ٢٤٨٣٦٦٨٠

السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض ٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩ - فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

رأي المجتمع

مصر الثورة بين تطرفين

انتهت فعاليات جمعة الوحدة ٢٠١١/٧/٢٨م في ميدان التحرير، بسيطرة الشعارات الإسلامية، على المشهد الثوري الاحتفالي في حين انسحبت قوى ليبرالية وعلمانية ومستقلة ومحتجة على قيام السلفيين برفع شعارات تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية، «الانتخابات قبل الدستور»، ورفض «المبادئ الحاكمة» فوق الدستور وهو شعار الليبراليين في الأسابيع الماضية، وبالرغم من رفض بعض قادة الإخوان المسلمين وغيرهم خلاف ما اتفق عليه من عدم رفع تلك الشعارات، حيث طالبوا بإرجاع الميدان إلى وضعه الطبيعي في لمِّ الصف ووحدة المسار، إلا أن أحداث تلك الجمعة أو حدوث ردود فعل عند التيار الليبرالي والإعلام الموالي له، وفي الحقيقة أن هناك خلافاً بين الأطراف المشاركة في التجمع التحريري على أساسيات الانطلاق للمرحلة الانتقالية بسبب شعور الليبراليين بأن الإسلاميين سيكون لهم التمثيل الأكبر في البرلمان في المرحلة القادمة، مما يعني أن الإسلاميين بثقلهم السياسي سيضعون بصمتهم التاريخية على دستور مصر القادم، وبالرغم من المطالبات العديدة لهم بتأجيل الانتخابات، إلا أن الحل العملي لحالة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي تقدم تلك الاتجاهات والتيارات الليبرالية والعلمانية تصوراً عملياً حقيقياً له سوى «كتابة الدستور قبل الانتخابات»، في المقابل يستذكر الإسلاميون التكتيكات والاستراتيجيات التي اتبعتها التيارات الليبرالية والعلمانية العربية إبان انتخابات الجزائر عام ١٩٩٢م وفوز الإسلاميين فيها، حيث أيدوا انقلاب الجيش وإبطال نتيجة اختيار الشعب الجزائري، وأدخلوا الجزائر عقوداً من التخلف والاحتراب العسكري والسياسي والإعلامي، ومثالاً آخر انقلاب حركة «فتح» على نتائج فوز «حماس» بالانتخابات وتحالفها مع الولايات المتحدة وإسرائيل والرباعية ضدها.

وفي الواقع أن التطرف الليبرالي والعلماني يخلق مشكلة جديدة، وهو عدم قبوله بالاستفتاء الشعبي الذي حصد ٧٨٪ من الناخبين المصريين للإعلان الدستوري، والذي أثبت فيه الإسلاميون أنهم نجحوا في حشد الشعب المصري وراءه.

هذا التطرف يخلق تطرفاً آخر متشدداً في المطالبة بتطبيقات الدولة الإسلامية من خلال نداءات لجماعات سلفية وإسلامية، بسبب احتكار الليبرالية طوال فترة الثورة إلى اليوم على جميع أجهزة الإعلام الحكومي والخاص، لترويج فكرة تأجيل الانتخابات وإلغاء نتائج الاستفتاء الشعبي، والذي أكد على تثبيت أحد أهم مواد الدستور وهي المادة الثانية منه، وهو «أن الإسلام دين الدولة، والشريعة المصدر الرئيس للتشريع».

وهذا ما تسعى له تلك القوى الليبرالية بكل ما تستطيع أن تثير الغبار حوله.

إن مصر اليوم على مفترق طرق، إما أن يستمر الحراك المدني السياسي للتيارات السياسية المدنية المصرية لإكمال مسار الثورة نحو أهدافها من إيجاد نظام سياسي مستقر وعقد اجتماعي جديد، أو أن يستمر الاحتراب الإعلامي والسياسي لمزيد من تدهور الوضع وعدم الاستقرار مما ينذر بنتائج سلبية، منها:

- تفرد العسكر بالدور المدني لوقت أكبر.
- الانقلاب على الاستفتاء الشعبي مما يعطي مبرراً للتيارات الدينية لفقدان الثقة بالعمل الوحدوي للتيارات السياسية.
- استفادة عناصر النظام السياسي السابق من هذا الخلاف لتجذير الصراع بين الاتجاه الإسلامي والليبرالي والعلماني بما يمدد أمد الفراغ السياسي.
- توسعة الدور الخارجي للتدخل؛ لأهمية استقرار مصر بما يخلق معادلة جديدة في الصراع السياسي داخل مصر.
- استمرار الأزمة الاقتصادية بما يخلق مشاكل اجتماعية ومعاشية للمصريين.

لذا، فإن احتواء التطرف الليبرالي والإسلامي مطلوب للمرحلة القادمة، وأن تحكيم العقل والسير نحو التوحد لاستدراك المرحلة القادمة، وعدم وضع المجلس العسكري في مرمى نيران المتطرفين أمر مهم لما يقتضي إنهاء حالة الحكم العسكري لصالح الحكم المدني، وأنا على ثقة بأن مصر برجالها وشبابها وثورتها قادرة على تجاوز هذا الطارئ من الأزمة.■

المجتمع

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾

(سورة الحج)

رمضان في مرآة طفولتي.. د. جابر قميحة ٣٦
معركة العاشر من رمضان.. فارق بين عهدين ٤٠
أثر النوم على الصيام في رمضان ٤٤
من فضائل القرآن.. د. السيد نوح ٥٠
د. رشاد البيومي: رمضان الخير والثورات العربية ٦٦

قطر:
مكتبة الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع / ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣
المغرب:
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الدار البيضاء. ص.ب ١٣٠٠٨. الدار البيضاء الرئيسة
ت: ٠٠٢١٢٢٢٢٤٩٢٠٠ فاكس: ٠٠٢١٢٢٢٢٤٩٢١٤

U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883.

أكثر من مليوني مسلم مهددون بالموت خلال شهرين

فهد الشامري: ٣٠٠ ألف دولار حجم المساعدات الإنسانية التي قدمتها جمعية الإصلاح بالصومال

أعلن رئيس قطاع آسيا وأفريقيا في جمعية «الإصلاح الاجتماعي» فهد محمد الشامري أن أكثر من مليوني مسلم مهددون بالموت في الصومال والقرن الأفريقي الممثل بالصومال وكينيا وجيبوتي وأثيوبيا بسبب الجفاف والتصحر الذي لحق بتلك الدول، والذي أطلقت عليه الأمم المتحدة مأساة القرن، ولم تشهد هذه الحالة في تلك الدول منذ ستين عاماً والتي أدت إلى نفوق مئات الألوف من الماشية والبشر.

وبين الشامري أن دولة الكويت تعتبر أول دولة على المستوى الحكومي والشعبي تقدم معونات إنسانية تبرّع بها الشعب الكويتي والحكومة للشعب الصومالي بسبب المجاعة والقحط اللذين ضربا المناطق الجنوبية والوسطى وخاصة مدينة «مقديشو»، وكانت جمعية الإصلاح أول الواصلين للبلاد، وقدمت مواد غذائية لعدد ١٥٠٠ أسرة عبارة عن كميات من الأرز والدقيق والتمر والزيت والطحين تكفي لشهرين بتكلفة إجمالية تجاوزت ٣٠٠ ألف دولار تبرع بها المحسنون من أهل الكويت.

وأكد الشامري أن هذه المعونة هي المرحلة الأولى من التبرع والدعم لهذا الشعب العربي والمسلم، وسوف تتبعها مراحل أخرى بعون الله.

وأوضح أنه لايزال آلاف النازحين الفارين من المجاعة يتدفقون كل يوم إلى العاصمة «مقديشو»، والبعض نزح في اتجاه الحدود مع كينيا وكذلك للحدود الأثيوبية، وبعضهم دفن أبناءه في الطريق بعد أن توفاهم الله بسبب العطش والجوع لأنهم قطعوا قرابة ٥٠٠ كيلو متر مشياً على الأقدام، واستمروا بالسير أكثر من أسبوعين ليصلوا إلى تلك الحدود، وهم يعيشون بالعراء وبحاجة للخيام والبعض كان يملك قرابة ٥٠ بقرة أصبح لا يملك شيئاً؛ فجميعها نفقت والرعاة لا يتركون أماكنهم إلا بعد وفاة مواشيهم.

وأشار الشامري إلى أن الصومال تشهد أخطر أزمة غذائية في أفريقيا منذ ٢٠ عاماً.■

أمانة العمل الخيري تنفذ «إفطار الصائم» في ٢٢ دولة

أعلن مدير العلاقات العامة والإعلام بالأمانة العامة للعمل الخيري بجمعية الإصلاح الاجتماعي عبدالرحمن المطوع عن تنفيذ الأمانة لمشروع إفطار الصائم في أكثر من ٢٢ دولة حول العالم، حيث تقام ولائم الإفطار في المساجد ومجمعات الأيتام التابعة للأمانة العامة للعمل الخيري، بالإضافة إلى توزيع الحقيبة الرمضانية والتي تحتوي على مواد غذائية تكفي لإفطار أسرة مكونة من ٤ أفراد طوال الشهر الكريم.

وأشار المطوع إلى أن عدد الذين استفادوا من هذا المشروع العام الماضي بلغ أكثر من مليونين ونصف صائم من الفقراء والأيتام والأسر المتعففة.

وأضاف: ندعوا أهل الخير في كويت الخير إلى ما عودونا عليه كل عام من التفاعل مع المشروع، وزيادة الدعم له لزيادة عدد المفطرين على موائد الخير الكويتية في هذا الشهر الكريم، خاصة أن هناك بعض الدول تعاني من التصحر والجفاف.

وأشار إلى أنه يمكن التبرع للمشروع أو المساهمة في وقفية إفطار الصائم من خلال موقع الأمانة على الإنترنت «www.khaironline.net» أو الاتصال على الخط الساخن ١٨٢٢٨٥٥، أو زيارة أحد فروع جمعية الإصلاح الاجتماعي المنتشرة في جميع مناطق الكويت.■

جمعية عبدالله النوري تستقبل التبرعات لإغاثة شعب الصومال

أعلن نائب رئيس جمعية «الشيخ عبد الله النوري الخيرية» جمال النوري أن الجمعية فتحت باب استقبال التبرعات لإغاثة وإنقاذ إخوانهم في الصومال من خطر المجاعة والموت. وقال النوري: إن هذه الخطوة من قبل الجمعية جاءت سيراً منها على درب مبادرة صاحب السمو أمير البلاد، وتبرع سموه لإغاثة الشعب الصومالي الشقيق من جهة، واستمراراً لجهودها في تسيير قوافل إغاثة عاجلة في مختلف محافظات الصومال التي تعاني من المجاعة والجفاف، مؤكداً مواصلة الجمعية جهودها الحثيثة لتقديم كل عون ومساعدة للمسلمين في مختلف أصقاع الأرض لاسيما في المناطق المنكوبة والمتضررة.■

«العون المباشر» توصل إغاثتها إلى أشد المناطق الصومالية تضرراً

قال نائب رئيس مجلس إدارة جمعية «العون المباشر» عبدالرحمن المحيلان: إن الجمعية كانت تقوم ولا تزال بتنفيذ أعمالها في الصومال خلال العقدين الماضيين وباستمرار مما مكن لها أن تفتح مراكزها الإغاثية في أشد المناطق الجنوبية تضرراً بالمجاعة.

ولفت المحيلان إلى أن الجمعية بدأت برنامجها الإغاثي في شهر فبراير من العام الجاري، حيث بدأت بتوصيل المياه إلى مناطق الجفاف وتوزيع مئات الأطنان من المواد الغذائية.

وأوضح أنه في بداية شهر أبريل قررت الجمعية فتح ٢٠ مركزاً في جنوب الصومال لتغذية المصابين بسوء التغذية يستفيد منها حالياً عشرة آلاف طفل يومياً، كما فتحت في شمال كينيا ١٧ مركزاً يستفيد منها خمسة آلاف شخص يومياً.

وأشار إلى توقيع الجمعية اتفاقية مع منظمة رعاية الطفولة ومكتب تنسيق المساعدات الإنسانية التابعين للأمم المتحدة بفتح ١٨ مركزاً للتغذية الإضافية في محافظتي «شبيلي» السفلى و«جدوا»، ويستفيد منها تسعة آلاف طفل وامرأة من المصابين بسوء التغذية، وبهذا يصل عدد المستفيدين من مراكز الجمعية الحالية ٢٤ ألف شخص يومياً.

وكشف الدكتور المحيلان النقاب عن خطة الجمعية في إغاثة ٥٠ ألف أسرة (٣٠٠ ألف شخص) خلال الأشهر الثلاثة المقبلة.■

الفلاح: مشروع الوسطية الذي تبنته دولة الكويت يجسد حقيقة الدين الحنيف وجوهره

د. عادل الفلاح

قال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د. عادل الفلاح: إن مشروع الوسطية ومبدأ مواجهة الفكر بالفكر الذي تبنته دولة الكويت يجسد حقيقة الدين الحنيف وجوهره، ويعكس طبيعة أهل الكويت الذين جبلوا على قيم الوسطية والتسامح والإخاء، جاء ذلك خلال زيارة د. الفلاح لإسبانيا.

وأضاف الفلاح أن الأمة الإسلامية جسدت المعاني والقيم الأصيلة للوسطية عبر تاريخها ولاسيما عندما تبوأت ذروة الحضارة في بلاد الأندلس ومصر وفي آسيا الوسطى وروسيا وغيرها من المناطق التي تشهد بعظمة الإسلام وتسامح المسلمين.

وذكر الفلاح أن الكويت تسعى عبر مركز «الوسطية العالمي» من منطلق إيمان واعتقاد أصيل بالمنهج الإسلامي إلى نشر مفاهيم الوسطية وتعميقها، وإلى مشاركة مسلمي العالم في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول الإسلام، والتأكيد بشكل خاص على قضايا المواطنة الصالحة والاندماج الإيجابي في المجتمعات التي تحتضنهم، والمشاركة الفعالة في تنميتها مع الحفاظ على الهوية الإسلامية.

ونوه الفلاح إلى الاهتمام الذي توليه الجهات الرسمية الإسبانية لقضايا المسلمين.

وأكد أنه التمس لدى تلك الجهات رغبة واسعة وملحة بمشاركة الكويت في النهوض بقضايا المسلمين الذين يفوق عددهم مليون و٢٠٠ ألف شخص مسلم في إسبانيا، والمشاركة في إعداد الأئمة ومخاطبة الشباب وتغذيتهم بقيم الوسطية والاعتدال.■

مندني: ٣,٥ ملايين دينار مساعدات قدمتها جمعية التكافل للسجناء وأسرهم

أكد رئيس جمعية التكافل لرعاية السجناء د. مساعد مندني أن الهدف الأساسي لعمل جمعية التكافل لرعاية السجناء يتمثل بالحفاظ على روح الأسرة وسلامة تكوينها، ووقاية أفرادها من التفكك والضياع من خلال مساعدة سجناء القضايا المالية الذين ليس لهم نوايا إجرامية حتى يتم الإفراج عنهم بدفع المبالغ أو جزء منها، وعمل تسوية مع الدائن وحفظ كافة حقوقه عن طريق قاضي التنفيذ.

مساعد مندني

وبين د. مندني في لقاء أجرته معه جريدة «الوطن» الكويتية أن عمل الجمعية لا ينحصر في ذلك، بل يتعداه إلى مساعدات أخرى؛ ومنها مساعدة أسر السجناء وبشكل دوري حتى يتم الإفراج عن المعيل، وذلك بتقديم مساعدة نصف سنوية حسب النظام المتبع في الجمعية، فضلاً عن الحالات الإنسانية لكبار السن والنساء والمرضى من أسر السجناء حتى لا يقعوا فريسة الديون، مشيراً إلى أن قيمة المساعدات التي قدمتها الجمعية منذ إشهارها وحتى نهاية شهر مارس الماضي بلغت أكثر من ثلاثة ملايين دينار ونصف المليون، موضحاً الدور الكبير الذي يقوم به بيت الزكاة وبيت التمويل والأمانة العامة للأوقاف مع الجمعية لرفع معاناة السجناء والمطلوبين.■

رؤية نهضة مصر «أم الدنيا»

بناء رؤية أمنية جديدة لنهضة مصر

مفاهيم وأدوات الرؤية الأمنية (١)

بقلم: محمد سالم الراشد

تباعاً نتابع رؤيتنا في بناء رؤية نهضة مصر «أم الدنيا» إذ ناقشنا في الأعداد السابقة أربعة أولويات هامة لتتصدر مشهد الحراك المدني لبناء رؤية نهضة مصر، وفي هذا العدد نتناول أولوية خامسة ومهمة وهي «بناء رؤية أمنية جديدة لنهضة مصر».

فارقتان في الحياة الأمنية لمصر ما بعد الاستقلال، وهما أن الصورة الذهنية عند المصريين عن المؤسستين الرئيستين المسؤولتين عن أمن مصر الداخلي والخارجي متناقضتان؛ فجهاز الشرطة والأمن العام وتوابعه جهاز شرير، وجهاز المؤسسة العسكرية «الجيش» جهاز طيب ويفخر به في إذ أنه في السياق التاريخي فقد أمم جهاز الشرطة لصالح السلطة السياسية، واستبد هذا الجهاز وبشكل مستهتر؛ فانتهك كل الحرمات ضد الشعب المصري منذ ما يقارب تسعة عقود، وهي عمر استقلال الأمة المصرية، فلقد تم تجنيد هذه المؤسسة الأمنية في مشروع «ثورة يوليو» لصالح ديكتاتورية الفرد والسلطة الناصرية، واستمر في أداء مهامه المحرمة في عهد السادات، وبلغت ذروة الاستهتار بقيم وحياة المصريين في عهد مبارك، إذ كان لا صوت يعلو فوق صوت «التوريث لجمال».

لقد كان جواز مرور الحياة اليومي هو الاستسلام لنزوة الأمن والشرطة؛ فلا كرامة لمواطن، ولا عزة لمصري، لا فرق أن يكون مسلماً أو نصرانياً، أو حزبياً أو مستقلاً، أو رسمياً أو شعبياً، لقد كشفت ثورة ٢٥ يناير المجيدة عن عورات هذا النظام؛ حيث استخدم كل الأدوات المحرمة وسحق المصريين واستباح دماءهم الطاهرة في ساحات الكرامة والثورة، واستخدم كل وسائل القمع والتعذيب والإذلال، واستند بشكل كبير على حشود من البلطجية؛ لقهر المعتصمين والثوار، وفي نهاية المطاف كشف عن ممارسات بئيسة وإجرامية لهذا الجهاز الذي لطخ سمعة المنتسبين إليه، فلم يعد الشعب المصري يحترم الانتساب إليه، وقد بُني هذا الجهاز الأمني؛ ليصبح الأداة والسلطة لمواجهة الشعب.

أما المؤسسة الأمنية الأخرى «الجيش» فالصورة الذهنية تختلف بشكل كبير في أذهان المصريين، إذ إن الجيش هو فخر للمصريين، ومحل الاعتزاز والعزة، فمنذ أن كان هذا الجيش نصيراً للشعب المصري في مقاومة الإنجليز في حروب القنال والاستقلال، وثورته ضد الطغيان وديكتاتورية الملك، ومن بعد حروب ١٩٥٦م، و١٩٦٧م، وحرب الاستنزاف، ثم النصر المبين في إعادة سيناء في حرب١٩٧٣م، أما آخر هذه المواقف هو موقف الجيش «من ثورة ٢٥ يناير المجيدة»، إذ ظل الجيش محايداً ثم حامياً للثورة، ثم منحازاً لصالحها، وهو لم يلطخ يده في دماء المصريين، بل وأدى التحية شامخة «لشهداء الثورة السلمية»، مما عزز مكانته في قلوب المصريين.

إننا في الحقيقة أمام حالتين في الحراك السياسي والاجتماعي والوطني:

الأولى: حركة المؤسسة الأمنية الداخلية (الشرطة والأمن العام وتوابعها)، وهي حركة تواجه انتقاداً واسعاً من الشعب المصري بكل فئاته، وإذ إن المواطن المصري واحتكاكه اليومي وأمنه مرتبط ارتباطاً حيوياً ومباشراً بطبيعة هذا الجهاز، وتواجده المباشر في الشارع، والمؤسسة الحكومية والتعامل القانوني وغيره، وإذا كان من الثابت أن هذا الجهاز فاسد ومفسد، فكيف للشعب المصري أن يعيش أمنه اليومي، ويمضي نهاره ويلتحف مساءه وهو لا يهنأ باستقرار نفسي وأمني، ومن جانب آخر، فإن «الجيش المصري» الذي يقود حالياً الحياة السياسية لينقلها تدريجياً للمدنيين بعد فترة وجيزة تقدر بستة أشهر قادمة، لا يستطيع بإمكاناته أن يسد فراغ هذا الجهاز الأمني، إن ذلك يضع مسألة «الأمن الداخلي والوطني والقومي» في أولويات ومهمات السلطة السياسية القادمة، بل وأن يكون من أهم التوافقات الوطنية للمصريين لبناء نهضة مصر الجديدة.

ثلاثية الأمن المجتمعي

وحتى نستطيع تأطير رؤية أمنية واقعية لمصر النهضة، فإنه من المهم أن نقدم بمقدمة مختصرة عن «ثلاثية الأمن المجتمعي»، وهي ثلاثية متلازمة تتمثل في «الأمن من الخوف - والأمن الغذائي - وتأمين الحقوق».

فالأمن من الخوف هو الاستقرار النفسي بتوفير الحماية للنفس والمال والعرض والدين.

والأمن الغذائي بتوفر المصادر الرئيسة للغذاء التي تطعم الجائع، وتكسي العاري وتوفر المسكن النظيف.

والأمن الحقوقي هو العدل والإنصاف، وإبطال الظلم، ووضع الحقوق موضعها.

ومتى اختلت واحدة منهن.. اختل الأمن المجتمعي، وانتشر الفساد واختل ميزان العدالة، وطغى الفقر، وبعده المرض، والجهل، وأخيراً الكفر.

والأمن من الخوف أداته السلطة المسؤولة، والأمن الغذائي أداته العمل وتوفير الموارد، والأمن الحقوقي أداته القضاء العادل.

قال الله تعالى متحدثاً سبحانه بنعمته على قريش: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾ (قريش)، وانتهت الآية لتؤكد على أهمية العبودية لله شكراً على نعمة الأمن من الخوف، وتأمين الطعام خشية الجوع والفقر.

فهذا البيت الحرام جعله الله آمناً للناس: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن

مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) ﴾ (البقرة)، ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾(القصص)، وهو استجابة لنداء أبينا إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾(البقرة).

لذلك فإنه سبحانه وتعالى ضرب مثلاً لمن يخل بتلك المعادلة في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(١١٢) ﴾ (النحل).

مما يعزز أن أي مجتمع يعتمد على إقامة العبودية والعدل، وتوفير الأمن الحياتي للناس، والاهتمام بالاقتصاد المعيشي بما يحقق استقراراً للحياة البشرية؛ التي تؤدي إلى تنمية المجتمع وتحريك نهضته.

مفاهيم وأدوات الرؤية الأمنية لمصر النهضة الجديدة

بعد تلك المقدمة التاريخية والشرعية، فإن الرؤية الأمنية التي نحاول البحث في مضامينها وخطوطها الرئيسة؛ لنستدرك أننا لا نناقش بشكل مباشر الشكل المؤسسي والهيكلي، أو حتى الإستراتيجي لجهازي الشرطة والجيش في مصر، وإنما نوسع آفاق النظر في مفهوم الرؤية الأمنية؛ لتستوعب الجوانب الأمنية في شمولها العام، «الأمن النفسي والحياتي والغذائي والاجتماعي والاقتصادي وغيره»؛ لتشكل منظومة متناسقة ومتكاملة، تحمل بعضها بعضاً لصياغة رؤية أمنية مستقبلية قادرة على تحرير الإمكانات، وتستوعب التحديات، وتستفيد من فرص التغيير لتوفير الأمن الوطني والغذائي والعدل الاجتماعي.

وسنتناول في هذا العدد وما يلي من أعداد الرؤية الأمنية الجديدة فيما يلي:

أولاً: «إنتاج المفاهيم الجديدة».

ثانياً: «محددات الرؤية الأمنية».

ثالثاً: «اتجاهات الرؤية الأمنية المستقبلية».

رابعاً: «الضمانات اللازمة لتحقيق هذه الرؤية».

أولاً: إنتاج المفاهيم الجديدة للرؤية الأمنية:

١- تحرير مفهوم السلطة في الجهاز الأمني:

من الجدير بالذكر أن أي سلطة يتبعها فساد وتغول على الحقوق ما لم تضبط أو تحدد.. ومفهوم السلطة هو أحد المفاهيم الرئيسة التي تبنى عليها المناهج الأمنية، وتعزز بالممارسة، وتلزم بواسطة الأوامر الإدارية والقانون الداخلي للمؤسسة الأمنية، وللأسف فإنها مع استمرار الممارسة، وتفرد السلطة السياسية بالسلطة الأمنية تندمج السلطتان؛ لتصبحا التفرد الديكتاتوري بالجهاز الأمني، من قبل السلطة السياسية، وقد يحدث العكس؛ فإن الجهاز الأمني قد يسيطر على الجهاز السياسي؛ ليصبح أداة تنفيذ مصالحه الخاصة.

وهو عادة ما حدث في أكثر من دولة شيوعية واشتراكية، وحتى في عهد بعض الرؤساء الأمريكيين عندما سيطرت سلطة جهاز (F.B.I) عن طريق رئيسه (هوفر) ليسيطر على السياسة الأمريكية».

والمفهوم الجديد الذي يجب تعزيزه هو أنه حيثما تكن السلطة تكن المسؤولية، إن هيبة السلطة في الحقيقة تعزز من خلال تمكن المسؤولية عند الواجب، لذا فإن في مقابل صلاحيات السلطة ومكانتها، يجب أن تعدد أدوات المساءلة والرقابة وتطوير الضمير الحي في مواقع النبض الحياتي للجهاز الأمني.

٢- إنتاج مفهوم جديد للولاء:

تسيطر فكرة «الولاء» للمؤسسة؛ فتكون نشيداً دائماً ويومياً في مساحات العمل الأمني، وفي شغوف العاطفة المسيس للمؤسسة، وفي تجويفات العقل الشرطي، إذ إن معايير الحكم الانتمائي ونتائج القبول الرضائي، وروح الفريق الواحد عند المؤسسة والمؤمنين بها أياً كانت تعتبر «الولاء» ثم «الولاء».. ثم «الولاء» أساساً للكينونة الشرطية والأمنية، وهي المادة التي يأكل ويشرب عليها القادة الكبار والصغار، في المؤسسة الأمنية، ويتطور الولاء ما بين فترة الانتساب والاختبار والممارسة، ثم التمكن ليصبح بعد ذلك «ولاء» خاصاً أبعد ما يكون «الوطن» و«الأمة» و«النظام العام» و«القانون» غايته، بل في غياب المؤسسة الرقابية الحقيقية، أو حال التمكن الديكتاتوري يتحول «الولاء»؛ ليصبح السوط الذي يتعذب به جنود وضباط المؤسسة الأمنية لإثبات حقيقتهم وكينونتهم.

وهذا ما جعل المؤسسة الأمنية تكبر على حساب المجتمع، وتهيمن عليه وتسيطر على أدوات الأمن، والاستقرار فيه لمصلحة رجال محددة رتبهم ومصالحهم وأهواءهم.

ولذا فإن الآلاف من الجنود والضباط الذين حرموا من حقوقهم الأمنية والترقيات والأقدمية والمعاشية بسبب مفهوم بائس «للولاء».

لذا فإن إعادة إنتاج مفهوم الولاء ليصبح مفهوماً خاصاً «للوطن والأمة والشعب والقانون»، لا «للمؤسسة والقائد الأكبر، وسيادة اللواء، أو الرئيس الأعلى».

٣- تحديث الانضباط:

إن أي مؤسسة أمنية تعتبر الانضباط أحد معاييرها الأساسية في السيطرة على أجهزة وضباط وأفراد المؤسسة، والانضباط في المفهوم البائس السائد هو «الحركة ضمن المخطط الفردي للرتبة الأعلى»، وهو مفهوم متخلف وفاسد؛ إذ إنه يعطل عقل رجال وقادة المؤسسة الأمنية؛ ليصبحوا «نسخاً» عضلية، و«ماكينات» تعبوية لأوامر الزعيم وما يفكر به لا ما يفكرون به، «فالتكتيكات والاستراتيجيات وحلول المشكلات ومواجهة التحديات واقتناص الفرص وحل الأزمات..» هي خطوط مرسومة في إطار صندوق لا يخرج عنه قائد ولا فرد.

لذا؛ فإن مجمل الهزائم والانتكاسات، بل والجرائم الأمنية هي نتيجة هذا الفهم الخاطئ للانضباط.

إن مفهوم وعملية الانضباط تحتاج إلى تحديث نحو الإبداع، وتحريك العقل في مسار الأمر التكتيكي والاستراتيجي أو القرار الأمني أو الإداري، بما يخلق كفاءات وعقول قادرة على استيعاب المواقف وتحريرها نحو الحل الأمثل، لا الحل الأوحد.

لذا، فإن الانضباط المحدث ليطلق الطاقات الفكرية والعملية للقادة والجنود في الميدان ويعزز الحركة النقدية في إطار المعلوماتية الأمنية، بما يشكل حصناً حصيناً للاستقرار وتعزيز النتائج في الواقع وما «ثغرة الدفرسوار» في حرب١٩٧٣م إلا مثالاً حيّاً للانضباط الخاطئ دفعت فيه مصر أثماناً باهظة من العقود البائسة التي كبلت مصر باتفاقية «كامب ديفيد» البغيضة.■

يتبع العدد القادم

وأينما ذُكِرَ اسم الله في بلد
عددتُ أرجاءَهُ من لُبِّ أوطاني

فترات الصيام تتراوح بين ١٧ و١٨ ساعة

مسلمو «أوكرانيا» يواجهون صعوبة في رمضان بسبب ارتفاع درجات الحرارة

كييف: خاص - «المجتمع»

يواجه الكثيرُ من مسلمي «أوكرانيا»، الذين تقدَّر أعدادهم بنحو مليونَيْ نسمة (من أصل ٤٦ مليوناً)، صعوبة في صيام شهر رمضان المبارك هذا العام، وذلك لطول ساعات النهار مقارنة بالليل، وارتفاع درجات الحرارة.

وتتراوح فترات الإمساك عن الطعام والشراب خلال شهر رمضان الجاري في مختلف أقاليم ومدن أوكرانيا بين ١٧ و١٨ ساعة، ومن المتوقع أن تتجاوز درجات الحرارة في بعضها أربعين درجة مئوية.. وبالإضافة إلى التعب والجوع والعطش، فإن دخول موعد صلاة العشاء ما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة ليلاً، سيُجبر الكثيرين على العودة إلى منازلهم بعد صلاة التراويح في وقت متأخر قد لا تعمل فيه الكثير من وسائل المواصلات.

وفي ظل هذه الظروف، يحظى رمضان باهتمام إعلامي كبير في «أوكرانيا»، فتتطرق معظم وسائل الإعلام المحلية إليه في تغطياتها، وتركز على كيفية الصيام وما يقوم به المسلمون للتخفيف من حدة الجوع والعطش وحتى التعب، وهي تختلف من مكان إلى آخر بحسب المنطقة وطبيعة العمل، كما يجدون في البرامج الرمضانية للمراكز الثقافية الإسلامية والمساجد ملاذاً لهم.

ويقول رئيس الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا الشيخ «عمر كربيشين»: إنه «قدر الله على مسلمي أوكرانيا أن يصوموا ساعات قصيرة في الشتاء (٦ - ٨ ساعات) وطويلة في الصيف، ونسأل الله الأجر مضاعفاً على الصبر».

أما الحاج «مسلم غفاروف» (٧٣ عاماً)، فيقول بابتسامة ساخرة: إن «تحمُّل الحر هذا العام لا يُقارن بما كنا نتحمله عند صيام رمضان صيفاً في القرن الماضي إبان الدكتاتورية السوفييتية، فكنا نمنع من الصيام ونُعاقب بقسوة، وكنت آنذاك جندياً، ومع ذلك ثبتنا وصمنا فحفظنا ديننا وخصوصيتنا كمسلمين».■

«نيويورك تايمز»: «أردوغان» أنهى هيمنة العسكر على السياسة في تركيا

رجب طيب أردوغان

قالت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية: إنه «قبل خمسين عاماً كان إذا وقع رئيس وزراء تركي في ورطة مع الجيش، فإنه ينتهي به المطاف إلى حبل المشنقة، ولكن شعبية رئيس الوزراء الحالي «رجب طيب أردوغان» تزايدت رغم الاستقالات التي تقدّم بها عدد من كبار قيادات الجيش التركي».

وأضافت الصحيفة: إن الاستقالة الجماعية غير المسبوقة في التاريخ العسكري التركي لرئيس أركان الجيش وقادة القوات الجوية والبحرية والبرية، وقبولها من قِبَل رئيس الوزراء «أردوغان» الذي عيَّن بنفسه قائدَ الشرطة العسكرية كرئيس جديد لأركان الجيش، دليلٌ على انتهاء ما تبقّى من سلطة العسكر على النظام السياسي هناك.

وأشارت الصحيفة إلى أن الاستقالات الجماعية لقادة الجيش التركي تُعد رداً على استمرار اعتقال عدد من ضباط وقادة الجيش للتحقيق معهم في مؤامراتٍ انقلابية ضد حزب «العدالة والتنمية» الحاكم.

وقالت: إن «تعيين «أردوغان» للجنرال «نجدت أوزال» قائد الشرطة العسكرية كرئيس جديد لأركان الجيش فَرَض سلطة «أردوغان» المدنية على الجيش التركي الذي ظلَّ طويلاً يعتبر نفسه حامي التقاليد العلمانية في تركيا».

وأضافت: إن الأتراك فوجئوا بتلك الأخبار التي تتحدث عن استقالة قادة الجيش، متسائلين عما إذا كانوا يشاهدون الآن نهاية سلطة الجيش التي فرضها على النظام السياسي للدولة؟

وأبرزت الصحيفة مقالاً نشرته صحيفة «ملليت» التركية، اعتبر ما حدث «نهاية لدور الجيش، ولحظة تاريخية تنتهي فيها الجمهورية التركية الأولى، وتبدأ فيها جمهورية ثانية».

وقد نفى الرئيس التركي «عبدالله جول» وجود أزمة بسبب الاستقالات، في حين ركز «أردوغان» في خطابه - يوم السبت الماضي - على خطط لوضع دستور جديد للدولة التي تُوصف بأنها نموذج للديمقراطية في منطقة مضطربة.

يُذكر أن العلاقة بين الجيش العلماني والحكومة (ذات المرجعية الإسلامية) ظلت تعيش مراحل شد وجذب؛ ليبلغ التوتر أوجه إثر إعلان الاستقالة الجماعية لقيادات الجيش بسبب الخلاف الحاد مع الحكومة.■

الزعيمان المغربي والجزائري يدعوان إلى «علاقات نموذجية» بين بلديْهما

دعا كلٌّ من المغرب والجزائر إلى تحسين العلاقات، بعد عقود من الخلافات التي نشبت بينهما، وأكد زعيما البلديْن عزمهما إقامة «علاقات نموذجية».

فقد جدد ملك المغرب «محمد السادس» دعوته إلى تطبيع العلاقات وإعادة فتح الحدود مع الجزائر، وقال: إن بلاده تريد بناء تكتل اقتصادي متكامل في شمال أفريقيا.

وقال في خطاب ألقاه في الذكرى السنوية لاعتلائه العرش: إن «المغرب يتطلع لبدء مرحلة جديدة منفتحة على تسوية كل المشكلات العالقة؛ من أجل تطبيع كامل للعلاقات الثنائية بين بلديْنا الشقيقيْن، بما فيها فتح الحدود البرية، وسنظل متشبثين ببناء الاتحاد المغاربي كخيار إستراتيجي»، مؤكداً أن الرباط «عازمة على العمل لتذليل العقبات التي تعرقل تفعيله ضمن مسار سليم ومتجانس».

من جهته، دعا الرئيس الجزائري «عبدالعزيز بوتفليقة» إلى «مد جسور التآخي والتعاون وحسن الجوار مع المغرب؛ من أجل بناء علاقات ثنائية نموذجية كفيلة بخدمة المصالح المشتركة للبلديْن».

وقال في رسالة تهنئة بعث بها إلى الملك المغربي بمناسبة الذكرى الـ(١٢) لاعتلائه العرش: «إن الشعبيْن المغربي والجزائري تربطهما أواصر التاريخ، وتعنيهما تحديات المستقبل المشترك».

وأعرب الرئيس الجزائري عن ارتياحه «للانطلاقة الفاعلة» التي شهدتها العلاقات الجزائرية المغربية في الآونة الأخيرة، وما رافقها من زيارات متبادلة على المستوى الوزاري.

ولم يتطرق «بوتفليقة» إلى مسألة الحدود المغلقة من جانب الجزائر، والطلب المتكرر للمغرب بفتحها من جديد.. وتشترط الجزائر لفتح هذه الحدود تسوية مسائل أمنية مع المغرب.■

فريق «إشبيلية» الإسباني يقرر وقف التدريبات في أوقات الصلاة

فريدريك عمر كانوتيه

قرر المدير الفني لفريق «إشبيلية» الإسباني لكرة القدم «مارسيلينو تارسيا تورال» اتباع سياسة جديدة في انطلاق تدريبات الفريق للموسم الجديد في أوقات مناسبة؛ بحيث لا تتعارض مع مواعيد الصلاة لدى المسلمين.

وذكرت وسائل الإعلام المحلية أن ذلك يأتي تكريماً لنجم الفريق وهدّافه المالي «فريدريك عمر كانوتيه» (٣٤ عاماً)، الذي اعتنق الإسلام وهو في الرابع والعشرين من عمره.

يُذكر أن الفريق الإسباني يضم أيضاً اللاعب المسلم «محمودو دابو»، غير أن «كانوتيه» هو السبب المباشر في هذا القرار، خصوصاً أنه تسبّب في خلافات سابقة مع الجهاز الفني حول موضوع الصلاة.

وكان التوتر يسود سابقاً تدريبات «إشبيلية» كلما دخل وقت الصلاة؛ حيث يصر «كانوتيه» على الخروج من التدريب لأداء الفريضة، مما يُثير حفيظة المدرب الذي هدد بإنذار اللاعب، ثم تقرر إجراء خصومات مالية عليه كان يدفعها بدون تردد.

وأوضح «كانوتيه» أنه سيحدد موقفه النهائي قبل انطلاق الموسم الجديد، فإذا ما رأى الظروف غير ملائمة فإنه سيقرر الرحيل عن نادي «إشبيلية»، إلا أن الأمور مع القرار الجديد ستكون أفضل، وفقاً لتصريحات نقلتها صحيفة «آس» الإسبانية.■

هامش الأخبار

● قال وزير الخارجية البريطاني «وليام هيج»: إن مستقبل مصر سيحدِّد إلى أي مدى يمكن أن تصل الديمقراطية في المنطقة، معتبراً أن «مصر أهم قطعة في الربيع العربي».. وأشار- في حوار أجرته معه صحيفة «التايمز» - إلى إمكانية قيام بريطانيا بإلغاء التجميد المفروض على أموال نظام العقيد «القذافي» لصالح المعارضة الليبية، تماشياً مع قرار اعتراف «لندن» بالمجلس الوطني الانتقالي كممثل شرعي ووحيد للشعب الليبي.

● أبرزت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية تصريحات «ديلكسات راكسيت» المتحدث باسم «المؤتمر العالمي للأويجور»، ومقره ألمانيا، التي حذّر فيها من إمكانية تنفيذ الصين حملة قمع جديدة ضد المسلمين «الأويجور»؛ وذلك تعقيباً على الحادثيْن اللذيْن وقعا مؤخراً، وأسفرا عن مقتل ١٥ شخصاً في منطقة «كاشجار» بإقليم تركستان الشرقية المحتل، واتهمت الصين «الأويجور» بالمسؤولية عنهما.

● كشفت صحيفة «هآرتس» العبْرية عن عدد من المشاريع الزراعية التي بدأ الكيان الصهيوني تدشينها في «جنوب السودان» قبل عاميْن، والتي ظهرت إلى النور بعد إعلان استقلال الجنوب عن السودان، واعتراف العالم بالدولة الجديدة.. وأوضحت أن مشاريع زراعية عديدة برعاية صهيونية ستبدأ العام المقبل في جنوب السودان؛ فضلاً عن خطة لإنشاء أول خدمة للإنترنت هناك منفصلة عن الشمال تُسمَّى «بلبام تليكوميونيكيشين».

● وضع مدوِّنون إيطاليون على شبكة الإنترنت قائمة سوداء، تحمل اسم «اللوبي الصهيوني في إيطاليا»، تضم أسماء ١٦٢ شخصية يهودية إيطالية كبيرة، أغلبهم أساتذة في الجامعات المختلفة، إضافة إلى عدد من القضاة ورجال الأعمال والشخصيات الشهيرة.■

تفجير «أوسلو» ومذبحة «أوتويا» المتهم.. اليمين المسيحي المتطرِّف أم الإعلام المضلِّل؟!

لندن: د. أحمد عيسى

«متطرِّف من أقصى اليمين، ينتمي إلى فرع «ماسوني»، وينتسب إلى تيار ديني مسيحي متشدّد يعارض هجرة الأجانب إلى البلاد».. كان ذلك تعريف الشرطة النرويجية بالمجرم النرويجي «أندريس بيهرينج بريفيك» الذي قتل ٧٦ فرداً في هجومَيْن؛ الأول على حي الوزارات في العاصمة «أوسلو»، بينما استهدف الثاني جزيرة «أوتويا» القريبة؛ حيث مخيَّم للشباب من أعضاء حزب العمال الحاكم.. لكن وسائل الإعلام الغربية المغرضة لم تنتظر السويعات القليلة بين الهجومَيْن وإعلان الشرطة، وإنما قفزت لتتهم الإسلام والمسلمين و«القاعدة» معلنة قائمة معدة مسبقاً صنعت أمثال هذا الإرهابي النرويجي!

المجرم ينتقد وجود المسلمين في بلاده ويرفض سياسة التعددية الثقافية والعِرقية في أوروبا

فهل أهملت أوروبا خطر اليمين المتطرف؟ وهل خلقت اللغة المعادية للمهاجرين، خاصة المسلمين منهم، التي جعلت منها بعض وسائل الإعلام في الغرب مناخاً يشجع على العنف؟!

قال المتطرف «بريفيك» في أول ظهور له أمام المحققين يوم الإثنين ٢٥ يوليو: إنه يسعى لإنقاذ النرويج وأوروبا الغربية مما وصفه بـ«غزو المسلمين»، ووصف الهجمات التي قام بها بأنها «قاسية لكن ضرورية».

وأكدت الشرطة النرويجية أن «بريفيك» نشر قبل ساعات من وقوع الهجومين على الإنترنت وثيقة بعنوان «٢٠٨٣ – إعلان أوروبي للاستقلال» عبّر فيها عن آرائه، وأوضح فيها أنه يرفض وجود المسلمين في أوروبا، ويرفض سياسة التعددية الثقافية والعرقية التي تبنتها الأحزاب السياسية الرئيسة في عدة دول في أوروبا، ومنها حزب العمال الحاكم في النرويج.

ويدّعي بريفيك أن الأوروبيين سيصبحون أقلية في قارتهم خلال خمسين عاماً، ولذلك قرر الانضمام إلى ما وصفه بـ«حركة المقاومة».

بلد التسامح

حتى «النرويج»؛ تلك البلد الهادئة الصغيرة – وطن جائزة «نوبل» للسلام – ظهر فيها التطرف.. تقول صحيفة «أفتين بوسطن» النرويجية: إن «خوف الشرطة الغربية بلغ أوجَه جرّاء إدراكها لذلك المزيج من الركود الاقتصادي والبطالة، والقابل للانفجار في أي لحظة، والذي أدّى إلى تزايد التمييز العنصري وانتشار موجة غير مسبوقة من المشاعر المعادية للمسلمين في القارة.. فقد أفادت الشرطة النرويجية بأن ازدياداً طفيفاً قد طرأ العام الماضي على أنشطة التطرُّف اليميني في البلاد، كما تنبّأت الشرطة أيضاً بأن يواصل مثل هذا النشاط ارتفاعه طوال العام الحالي».

وتقول الكاتبة «دونلي» في صحيفة «صنداي تليجراف» البريطانية: إنه «رغم السمعة الباعثة على الفخر فيما يتعلق بالسلام والتسامح، إلا أن النرويج بلد عانى من توتر متزايد بشأن الأعراق والهجرة خلال السنوات الأخيرة»، وتضيف: «في موطن جائزة «نوبل» للسلام، حصل اليمين المتطرف على المزيد من الدعم في صناديق الاقتراع وفي الشارع، فحزب التقدم اليميني المناهض للهجرة هو الآن ثاني أكبر الأحزاب في البرلمان النرويجي؛ حيث استطاع الحصول على صوت من كل خمسة أصوات في الانتخابات الأخيرة».

وترى الكاتبة أن أحد الأسباب التي أدت إلى تنامي التطرف هو الخوف من العدد المتزايد من المهاجرين في دولة تمر بظروف اقتصادية صعبة، ويشير المقال في هذا

«بريفيك»: من المستحسن قتل عدد كبير من البشر حتى نتجنب خسارة التأثير الأيديولوجي المطلوب!

نسبة المهاجرين من إجمالي عدد سكان النرويج ارتفعت من ٢٪ عام ١٩٧٠م إلى ١١٪ في الوقت الراهن

الصدد إلى أن نسبة المهاجرين من إجمالي عدد السكان ارتفعت من ٢٪ عام ١٩٧٠م إلى ١١٪ في الوقت الراهن.

بين السويد والنرويج

وفي أواسط التسعينيات من القرن الماضي، أصدر الراحل «ستيج لارسن» - وهو كاتب سويدي مختص بشؤون الجريمة - مجلة «إكسبو» المختصة بمكافحة ومناهضة التطرُّف والتمييز العنصري، وذلك إثر الارتفاع الحاد في معدّلات أعمال العنف التي يرتكبها أفراد من حركة «النازيين الجُدد».

وقال «لارسن»: إن «حركة النازيين الجُدد النرويجية تتسم بالفوضى وعدم التنظيم، مدلِّلاً على ذلك بانعقاد تجمُّع كبير لليمين المتطرِّف في السويد لم يحضره سوى مجموعة صغيرة من النرويجيين».. وأضاف: إن «السويديين المشاركين في ذلك الاجتماع كانوا مفوَّهين ومنظَّمين وأنيقين. أما النرويجيون، الذين جاؤوا على متن حافلة ووصلوا إلى اللقاء متأخرين، فقد واظبوا على شرب الكحول طوال الرحلة عبر الحدود بين البلدين، كما كانوا إلى حد بعيد غير متماسكين ورثّي الثياب والهندام».

ويبدو أن متطرفي أقصى اليمين من النرويجيين قد أقاموا منذ ذلك الحين صلات أوثق وأقوى مع الجماعات الإجرامية، ومع مجموعات مشابهة في الخارج، في عموم أوروبا وروسيا والولايات المتحدة.. وعلى عكس ذلك، فقد شهدت السويد انخفاضاً حاداً في نشاط أقصى اليمين المتطرِّف الذي كان قد وصل إلى أوجه أواسط تسعينيات القرن الماضي، وذلك عندما قامت كل صحيفة وطنية في البلاد بنشر طبعات متماثلة تضمنت صوراً لكل شخص في السويد عُرف بأنه ينتمي إلى حركة «النازيين الجُدد».

وفي الوقت نفسه، حقق برنامج أقصى اليمين المزيد من البروز على الساحة السياسية السائدة في السويد، وذلك إلى الحد الذي نقلت فيه «إكسبو» أن شعور الشعب السويدي بالاشمئزاز خلال تسعينيات القرن الماضي أخذ يتحوَّل بشكل متزايد إلى نوع من الفضول حيال الخطاب المخفَّف لحركة أقصى اليمين، كما نمت أيضاً مشاعر مشابهة في النرويج؛ حيث عبّر سياسيون علناً عن مخاوفهم حيال ثقافة البلاد التي يمكن أن يجري تمييعها بواسطة الهجرة من بلدان ذات قيم وأديان مختلفة.

ميثاق العنف

ونُشرت وثيقة من ١٥٠٠ صفحة باللغة الإنجليزية على شبكة الإنترنت، يُقال: إن «بريفيك» كتبها تحت اسم «أندرو برويك»،

وذلك قبل ساعات من تنفيذ الهجمات، تدل على أن التخطيط لها استغرق سنوات من العمل.

وبالإضافة إلى مقطع فيديو معاد للمسلمين، أشارت الوثيقة إلى التعددية الثقافية التي تطبقها النرويج وهجرة المسلمين إليها، وقال كاتب الوثيقة: إنه من أتباع جماعة «فرسان الهيكل»، وهي جماعة مسيحية ظهرت في القرون الوسطى وشاركت في الحروب الصليبية، وتحظى بتبجيل أنصار تفوّق الجنس الأبيض.. ووردت في الوثيقة دعوات لاستهداف «الماركسيين الثقافيين وخونة التعددية الثقافية».

وأوضح «بريفيك» في الوثيقة أن ما سيُقدّم عليه سيجلب الانتباه إلى «الميثاق»، الذي جاء فيه أنه «عندما تقرر أن تضرب، فمن المستحسن أن تقتل عدداً كبيراً من البشر، وإلا فهناك خطر من أن تخسر التأثير الأيديولوجي المطلوب من الضربة».

ويهاجم بريفيك ما وصفه بـ«الاستعمار الإسلامي، وأسلمة أوروبا الغربية، ونمو الثقافة الماركسية المنادية بتعدد الحضارات»، ويقول: «كما نعلم، فإن أساس المشكلات التي تعاني منها أوروبا يكمن في فقدان ثقتنا بحضارتنا أو بالأحرى بقوميتنا، فمعظم الأوروبيين ما زالوا يخافون من العقائد السياسية ذات الطابع القومي، معتقدين أن اعتناق هذه العقائد سيؤدي إلى ظهور «هتلر» جديد وإلى اندلاع حرب عالمية ثالثة.. إن هذا الخوف غير المبرر من العقائد القومية يمنعنا من إجهاض انتحارنا الوطني والحضاري بسبب الاستعمار الإسلامي المتنامي».

ويضيف: «لن يمكننا دحر الأسلمة ومنع الاستعمار الإسلامي لأوروبا الغربية إلا إذا أزلنا أولاً كل العقائد السياسية التي تنادي بها الماركسية والحركات الداعية إلى تعدد الحضارات».

وفيما يخص الأسباب التي دفعته إلى الإقدام على ارتكاب جريمته، يقول «بريفيك»: «بالنسبة لي شخصياً، كان السبب الرئيس ضلوع حكومتي (النرويجية) في الهجوم على

وسائل الإعلام الغربية المغرضة لم تنتظر صدور بيان الشرطة وسارعت إلى اتهام الإسلام والمسلمين!

مراقبون: أجهزة الأمن أهملت خطر اليمين المسيحي المتطرف وأفكاره العنصرية.. وركزت كل جهودها لمحاربة «التطرف» الإسلامي!

«صربيا» (من جانب حلف شمال الأطلسي).. فلم يكن مقبولاً بالمرة أن تهاجم الأنظمة الأوروبية والولايات المتحدة إخواننا الصرب، الذين لم يقترفوا ذنباً سوى محاولتهم طرد الإسلام بتسفير الألبان إلى ألبانيا».

تقول صحيفة «الأوبزيرفر» البريطانية: إن منفذ الهجوم تحدّث عبر شبكة الانترنت عن مناقشات أجراها مع منظمات أوروبية متطرفة معادية للمسلمين، من بينها «رابطة الدفاع الإنجليزية».. وقد تحدّث «بإعجاب» عن تلك المناقشات التي أجراها مع أعضاء لم يكشف عن أسمائهم، من الرابطة الإنجليزية، وآخرين من منظمة «أوقفوا أسلمة أوروبا».

وتشير الصحيفة إلى أن تلك المناقشات كانت تتعلق بالنجاح الذي حققته تلك المنظمات جراء نشاطها «الاستفزازي» الذي أدى إلى تفجر العنف.

أكاذيب مخجلة!

حاولت الصحف البريطانية إلقاء الضوء على احتمال أن تكون إحدى الجماعات الإسلامية هي التي تقف وراء الحادث.

فقد نشرت صحيفة «الإندبندنت» تقريراً إخبارياً يقول: إن الاشتباه الأولّي وقع على «المتشددين الإسلاميين»، وجاء في غلاف صحيفة «الصن» التي يملكها اليهودي «روبرت مردوخ» بالخط العريض: «مذبحة القاعدة».. «١١ سبتمبر النرويج!».

وسارت كل الصحف على هذا المنوال، باستثناء صحيفة «الجارديان» التي أشارت إلى أنه «ليس من الواضح مَن المسؤول عن الهجومين».

وطالب الكاتب الصحفي الأمريكي «جيمس فالوس» صحيفة «واشنطن بوست» بتقديم اعتذار للعالم، بعد نشرها تحليلاً للكاتبة الأمريكية «جينفر روبن»، أكدت فيه أن متطرفين مسلمين وراء هجمات «أوسلو» بالنرويج، قبل أن تكشف السلطات النرويجية عن هوية الإرهابي، الذي اتضح أنه ليس مسلماً، بل ويعادي الإسلام، وهي السقطة الإعلامية التي وقع فيها الكثير من وسائل الإعلام الغربية.

ويقول الناشط الحقوقي والدبلوماسي البريطاني «كريج موراي» على مدونته: «جلستُ أمام التلفزيون غيرَ مصدِّقٍ ما أشاهد من هذه الأحاديث الغاضبة والمخجِلة عن «الخوف من تهديد الإسلام» على شبكتَيْ «بي بي سي»، و «سكاي نيوز»؛ حيث ظل الخبراء والمحللون لساعات يحدثوننا عن علاقة «القاعدة» بهجمات النرويج.. ويضيف: «لمدة ست ساعات على الأقل، ظل الخبراء يصبُّون علينا هذا الهراء السام، ولم يخطر ببال شخص واحد أن يفترض أن الفاعل ليس مسلماً»!

سياسة عرجاء

وتُعارض كثير من الأحزاب اليمينية في أوروبا فكرة التعددية الثقافية، وتقول: إنها تهدد القومية الأوروبية.. كما تُعارض زيادة المهاجرين خاصة المسلمين، لكنها تزعم أنها ضد استخدام العنف لتحقيق أهدافها، ولعل ما حدث في النرويج يدحض ذلك.

ويرى الكثير من المراقبين أن أجهزة أمن الغرب أهملت الخطر الذي يمثله اليمين المتطرف الذي يستخدم الدين «المسيحي» كغطاء لأفكاره العنصرية، وأنها ركزت كل جهودها لمحاربة «التطرف» الإسلامي.

وقد شجع المناخ السياسي والإعلامي منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م الفكر اليميني المتطرف على الظهور بقوة في بعض الدول الأوروبية، وعلى تلك الأجهزة الآن أن تغيِّر من سياستها العرجاء!■

اليمين الديني الأوروبي يعيد إنتاج الحروب «الصليبية»!

قبل خمس سنوات، نشر الكاتب «بروس باور» كتاباً ضد الإسلام والمهاجرين والتعددية الثقافية، بعنوان «نامت أوروبا البيضاء: كيف يدمر الإسلام الراديكالي الغرب من الداخل؟».. انتقد فيه نمط المعيشة الأمريكية في «أوسلو»؛ لأنها جعلت من الدول الإسكندنافية التي في خياله واقعاً مختلفاً جداً، وقد كانت لديه انتقادات كثيرة ضد المسلمين، لكنه أيضاً وجّه قدراً كبيراً من الانتقاد للأوروبيين العاديين، قائلاً: «في النهاية، عدو أوروبا ليس الإسلام العادي أو حتى الإسلام الراديكالي.. عدو أوروبا هو أوروبا ذاتها؛ بسبب سلبيتها في تدمير الذات، وليونتها تجاه الاستبداد، وميلها للاسترضاء»!!

بقلم: جون فيفر (*)
ترجمة: جمال خطاب

العدو ليس الإسلام العادي أو الراديكالي.. وإنما ذلك الأشقر الذي يتحدث الإنجليزية بطلاقة!

وقد ظهرت هذه السخرية من التعددية الثقافية في التشتت الذي بدا من المتطرف اليميني النرويجي «أندريس بيهرينج بريفيك».. ففي يومياته، وصف «التعددية الثقافية» بأنها «أيديولوجية كراهية تهدف إلى تفكيك الثقافات والتقاليد الأوروبية، فهي أيديولوجية شر وإبادة جماعية أُنشئت لغرض وحيد هو إبادة كل شيء أوروبي».

لم يقم «بريفيك» بفتح النار على الإسلام العادي أو حتى الإسلام الراديكالي، بل استهدف ما كان يُنظر إليه على أنه العدو الرئيس للمثالية الأوروبية، فقام بقصف مبنى حكومي لإحراج حزب العمال الحاكم ورئيس الوزراء «ينس ستولتنبرج»، ثم خرج إلى معسكر لشباب الحزب، واغتال بالرصاص كل من استطاع أن يغتاله.. وأكد «بريفيك» ما يراه «بروس باور» في كتابه، وما يردده السياسيون الأوروبيون المحافظون، وركز عليه بحملته الدموية، وسلك طريق العنف.

الحروب «الصليبية» الأصلية كانت تعتمد على الأعمال الوحشية؛ مثل التطهير العرقي الذي قام به فرسان أوروبا في القدس عام ١٠٩٩م، وقد قَبِل الصليبيون هذه «الشرور الضرورية» في سبيل خوض معركة أكبر من أجل روح الغرب.. وركزوا كثيراً على المفاهيم نفسها في أوروبا «مسيحية متشددة استبدادية»، كما كانت في قتالها للعدو البعيد.

ويتحدث الصليبيون اليوم عن الخطر الإسلامي، ويخشون أوروبا الديمقراطية المتنوعة، والاشمئزاز الذي يُظهرونه به ناتج عن تعصب واضح.

وقد أخذ الإعلاميون في شبكتَيْ «سي إن إن» و«فوكس» بعض الوقت للعدول عن رؤيتهم «نحن ضدهم» إلى الحقيقة «نحن ضد أنفسنا»، وكانوا قد سارعوا إلى افتراض أن المسلمين وراء هذا الاعتداء الوحشي، قبل الكشف عن هوية الجاني.

وتحدث الخبراء في التلفزيون البريطاني عن سبب كره المسلمين النرويج.. وتعاون «جينيفر روبن» من صحيفة «واشنطن بوست» مع «توماس جوسيلين» من «ويكلي ستاندارد» لإلقاء اللوم على «الجهادية الشريرة».. وعندما أصبح خطأهم واضحاً، لم يعتذر «روبن» أو يتراجع، بل قال ببساطة: إن «العالم مازال خطيراً لأن فيه أناساً سيِّئين مستعدين لفعل أشياء رهيبة، وهناك العديد من الجهاديين أكثر من النرويجيين الشقر مستعدون لقتل الأمريكيين، وينبغي أن تبقى العيون مفتوحة على التهديدات الأكثر احتمالاً لحرب عقائدية مع الغرب»!

هذا الحديث عن «حرب عقائدية مع الغرب» يحجب ما يجري حقاً، فهي حرب أيديولوجية داخل الغرب ضد أسس الديمقراطية الاجتماعية في أوروبا، وضد التعددية الثقافية بما في ذلك الولايات المتحدة، ضد المشروع كله من أجل التغلب على تركة الحروب «الصليبية»، والعبودية والاستعمار والاستبداد.. وقد أصبح المهاجرون، سواء أكانوا من المسلمين أم من المكسيكيين، أكبر «البيادق» (أحجار الشطرنج) في هذه المعركة.

«باور» – في نهاية المطاف – صاحب حق، فالعدو ليس الإسلام العادي أو الراديكالي، وإنما ذلك الشاحب الأشقر الذي يتحدث الإنجليزية بطلاقة.. يجب ألا نخطئ العدو لأنه منا، وهو مسلح وخطير!■

(*) «فورن بوليسي إن فوكس» - ٢٦ يوليو ٢٠١١م

محنة اللاجئين السوريين على

حسين أورك نائب رئيس منظمة «I.H.H» التركية:

عدد اللاجئين السوريين في تركيا بلغ ١٣ ألفاً ونتوقع أن يصل إلي مليون ونصف المليون

شعبان عبد الرحمن
يكتب من إسطنبول

على الحدود التركية واللبنانية تدور مأساة لايعلم العالم عنها إلا القليل.. مأساة من تركوا ديارهم وممتلكاتهم ولم يخرجوا من حطام الدنيا بشيء فارين بأجسادهم من الموت والإبادة وهناك على الحدود هاموا على وجوههم لا يعرفون مصيرهم ولا متى يعودون.. عند الحدود التركية نصبت السلطات لهم خياماً، وقدمت لهم كل عون، وكانت منظمة «I.H.H» المعروفة بنشاطها الإغاثي على مستوى العالم صاحبة السبق.. لكن في لبنان أمر آخر فأهالى المناطق الحدودية وأهل الخير هم أصحاب المبادرة في إغاثة هؤلاء اللاجئين الذين يتفرقون في القرى والأودية بينما لم يسلم بعض اللاجئين من مطاردة سلطات الأمن والقائه في السجن بتهمة دخول لبنان بطريق غير شرعي!

«المجتمع»، سعياً منها لاستطلاع الصورة ممن يعايشون تلك المحنة التقت في إسطنبول نائب رئيس منظمة «I.H.H» التركية والشيخ مصطفي حسن إمام أحد المساجد في المناطق الحدودية، اللبنانية والذي يسهم في عمليات الإغاثة.

حسين أورك نائب رئيس منظمة «I.H.H» التركية تلك المنظمة المعروفة بحملاتها الإغاثية على امتداد العالم، وأبرزها تسيير السفينة مرمرة في قافلة الحرية الأولى نحو غزة، والتي ارتكبت القوات الصهيونية مجزرة على متنها وتسببت في أزمة مازالت قائمة بين تركيا والكيان الصهيوني.

– قال لي في لقاء معه داخل مقر المنظمة بإسطنبول: إن عدد اللاجئين السوريين في تركيا بلغ ١٣ ألف لاجئ.. يسكن جزء منهم قرى خيامية والبعض الآخر يسكن عند أقاربه داخل تركيا. وهناك لاجئون تركوا بيوتهم وأملاكهم ووصلوا الحدود التركية ولكنهم لم يتمكنوا من دخول الأراضي التركية.

وبالنسبة لنا كمنظمة إنسانية لم نتمكن من تقديم العون للاجئين إلا للمناطق الخالية من التواجد العسكري السوري، أمّا في ظل التواجد العسكري فهناك صعوبة في الوصول إليهم.

● سألته: هل خاطبتم السلطات السورية لتقديم تسهيلات تمكنكم من القيام بدوركم الإنساني؟

– قال: نعم.. وجهنا إليهم رسائل ولكن لم يأتنا الرد حتى الآن، كما أنهم لم يسمحوا لأي من الجمعيات والمنظمات الخيرية الدولية بالدخول إلى الأراضي السورية.

● وما تقييمكم للموقف التركي الرسمي؟

المشكلة الكبري تتمثل في أنهم خرجوا من بيوتهم خالين الوفاض.. لا يملكون إلا الملابس التي على أجسادهم وهذا يسبب لهم الكثير من المآسي والآلام النفسية

ـــى الحدود التركية واللبنانية

– تركيا ترحب بهؤلاء المهاجرين، ولم نسمع أنها منعت أحدهم من عبور الأراضي السورية، كما أن الحكومة التركية تقدم لهم كل المساعدات الإنسانية التي يحتاجون إليها من بنية تحتية وغيرها من الحاجات الاستهلاكية اليومية.

وبالنسبة لنا فقد واجهتنا في البداية بعض المشكلات والتحديات عند تقديمنا للمساعدات للاجئين السوريين في المخيمات التي أقامتها الحكومة التركية أما الآن فإن حجم المشكلات قل كثيراً.

● صف لنا الأحوال التي تجدون عليها اللاجئين فور وصولهم إلي الأراضي التركية؟

– المشكلة الكبرى تتمثل في أنهم خرجوا من بيوتهم خالين الوفاض لا يملكون إلا الملابس التي على أجسادهم، وهذا بلا شك يسبب لهم الكثير من المآسي والآلام النفسية خاصة أن الكثيرين منهم كانوا في بلدانهم يتنعمون بالخير الوفير فضلاً عن وجود وسائل الترفيه المختلفة كالتلفاز والإنترنت وغيرها من وسائل الراحة، وبين عشية وضحاها أصبحوا عالة يتكففون الناس للإيواء والمأكل والعلاج وغير ذلك.

لذا نعمل على توفير وسائل الترفيه النظيفة للأطفال والشباب؛ حتى نعوضهم عن بعض ما فقدوه في بلادهم، خصوصاً وأن أكثر اللاجئين هم من الأطفال حيث تبلغ نسبتهم ٦٠٪، و٢٦٪ من الرجال وأكثرهم من العجائز.

● إلى أي عدد تتوقع أن يصل تعداد اللاجئين السوريين مع استمرار الأزمة؟

– أتوقع أن يصل العدد إلى مليون ونصف المليون.

● وهل لديكم الاستعدادات لمواجهة ذلك العدد الهائل؟

– نعم.. لدينا إمكانات جيدة بفضل الله، ولدينا عدد كبير من المتطوعين التابعين لمنظمتنا.

● في حال تفاقم الأوضاع، هل لديكم خطة اتصال ببقية المنظمات الإنسانية للشراكة في التعامل مع تلك الكارثة؟

– نحن بدأنا الاتصالات والتنسيق بالفعل

مع كثير من المنظمات الإغاثية عبر العالم. فنحن نعرف جيداً جميع المنظمات الإغاثية في العالم، سواء في أوروبا أو منطقة الخليج العربي، وذلك من واقع احتكاكنا المتواصل في مواطن النكبات والمحن.

● هل هم متجاوبون معكم؟

– نعم خصوصاً أننا نشترك في بعض المشروعات التي يتم تقديمها للمنكوبين في كثير من بقاع العالم المنكوبة.

و سوف تتضافر جهودنا لإقامة مشاريع مشتركة لصالح اللاجئين السوريين.

● ما شعورك كمسلم تركي حين تقوم بتقديم تبرعات ومساعدات لأخ مسلم تعرض للضرر في بلد آخر على يد بني جلدته من الحكام؟

– نحن نساعد الناس من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، ونقتدي بسنة الرسول ﷺ وصحابته الكرام حينما جاؤوا مهاجرين من مكة إلى المدينة ولم يكونوا يملكون من حطام الدنيا شيئاً.. فوقف معهم الأنصار وآووهم إلى أن كتب الله لهم النصر جميعاً. فكل من يأتي إلينا نعتبره ضيفاً أو مهاجراً ولا نطلق عليه لقب «لاجئ» كما يحدث في بلاد العالم، ونحن نأسف على إقدام الحكومة السورية على قتل الأطفال وانتهاك الحرمات. هذا الأمر تدمى له القلوب ومن أجله تذرف الدموع.

كما نأسف لممارسة السلطات السورية تعتيماً إعلامياً مكثفاً على ما يدور بحق الشعب من انتهاكات ووفاء بحق الشعب السوري نسعى لتقديم حقيقة ما يدور للعالم من خلال روايات اللاجئين، خاصة أن النظام السوري لا يسمح لأي من المنظمات الإغاثية بالدخول إلى الأراضي السورية لتقديم العون والمساعدات اللازمة للمحتاجين في سورية؛ خوفاً من كشف فضائحه أمام العالم. لكننا تمكنا بفضل الله من الدخول وسنواصل واجبنا الإنساني.■

العدد القادم إنشاء الله
حوار شامل مع حسين أورك عن أنشطة منظمة I.H.H

الشيخ مصطفى حسن إمام مسجد الفضيلة بـ «عكّار»:

لا جئون يسكنون المخازن والجراجات.. وآخرون تم الزج بهم إلى السجون اللبنانية

يعايش قضية اللاجئين السوريين عند الحدود اللبنانية بحكم تواجده على الحدود فهو إمام مسجد الفضيلة بمحافظة عكار الحدودية مع سورية ويعمل مرشداً دينياً في السجون اللبنانية.

يقول الشيخ مصطفى حسن إبراهيم: إن تعداد اللاجئين السوريين في لبنان بين مد وجزر ويصعب حصره لأنهم متفرقون بين قسم يستقبله الناس وقسم آخر يتوجه مباشرة إلى أقربائه كما أنهم يتوزعون بين محافظتي طرابلس وعكار على الحدود السورية، والجزء الأكبر منهم يتركز في جبل البداوي، القريب من مخيم البداوي للنازحين الفلسطينيين، باعتبار تلك المنطقة أرخص سعراً في الإيجار، والمواد الغذائية والاستهلاكية.

ويشير إلى جزء مهم من اللاجئين يتم توزيعه في قرى «وادي خالد»، اللبنانية على الحدود وهي قرى بعيدة، وطرقها وعرة جداً وتستخدم أراضيها الزراعية مرة واحدة في العام، لذا يصعب على لجان الإغاثة الوصول إليها إلا بعربات دفع رباعي.

● سألته عن حقيقة إغلاق الحدود السورية اللبنانية، وإعادة اللاجئين إلى سورية؟

– فأكد حدوث ذلك بتعاون بين السلطات السورية والسلطات اللبنانية.

و لا أحد يشك في هذا الموضوع، ووكالات الإغاثة العالمية علمت بمثل هذه الموضوعات، وربما اطلعت على قضايا أدق مما اطلعنا عليه، وربما الخلاف السياسي في لبنان، والتكالب على السلطة ساعد كثيراً في هذا الصدد.

● كيف؟

– التقاسم السياسي الموجود في لبنان لا يخفى على أحد وقد أدى إلى انقسام في السلطات القضائية، والأمنية وغيرها بين موالٍ للنظام السوري ومعارض. والموالي هو الذي قام بتسليم الجنديين الفارين من سورية إلى السلطات السورية ويقوم بالقبض على بعض اللاجئين المرصودين من قبل النظام السوري ووضعهم في السجون اللبنانية بتهمة دخول الأراضي اللبنانية خلسة.

● في ظل الصعوبات التي ذكرتها.. كيف يعيش اللاجئون؟

– في «عكار» تتكفل العشائر بمعظم الطعام والشراب، وضيافة اللاجئين تستمر ثلاثة أيام حسب تقاليد العشائر، ثم بعد ذلك تتعقد الأمور خاصة أن الشعب اللبناني مستنزف اقتصادياً، لذا تُسيّر بعض الجمعيات الأهلية قوافل إغاثة ببعض المساعدات العينية والغذائية.

في منطقة البداوي، يسكنون المخازن، ويعانون من ظروف قاسية جداً خصوصاً أن من بين هؤلاء اللاجئين من يملك في سورية بيوتاً فارهة ومصانع، ومحلات كبرى لكنهم بين عشية وضحاها باتوا لاجئين يتكففون الناس، أما في طرابلس فينقسم اللاجئون إلى قسمين، قسم ينزل على أقربائه، وفي الغالب تكون مدته قليلة حتى تهدأ الأحداث، ثم يعودون أدراجهم إلى سورية، إلا من عليه ملاحقات أمنية، والقسم الآخر يسكن في مستودعات وجراجات، أو يقومون باستئجار بعض البيوت.

● صف لنا حال اللاجئين من خلال معايشتك لتلك المحنة.

– معظم اللاجئين يأتون بما عليهم من ثياب، لا يملكون شيئاً، غير أن بعضهم تجار، فيطلبون إعطاءهم الفرصة للتجارة والعمل في لبنان.

وكوني إمام مسجد، فإن كثيراً من اللاجئين يأتون إلى المسجد طلباً للمساعدة، وأكثر من يأتي هم من النساء والأطفال.

وعند ذهابنا إلى قرى وادي خالد، أعطينا لكل طفل ما يقارب النصف دولار، مع شيء من الحلوى، ولاحظنا أنه حين يأخذ الطفل المال، تكون الفرحة لا تسعه؛ لأنه منذ شهور لم يأخذ المصروف من أهله، وكان لذلك وقع عجيب على الأهل وعلى الأطفال.

وهناك أمثلة طيبة للتكافل يضربها اللبنانيون مع إخوانهم السوريين فلا أنسى خمس عائلات جاءت من حماة، مكونة من نساء وأطفال ورجال، ولم يكن هناك بيوت في المنطقة يمكن إيواؤهم فيها، فما كان من الرجال إلا أن نزلوا من بيوتهم حيث بات النساء والأطفال المهاجرين مع نسائهم بينما بات الرجال مع الرجال القادمين من حماة في المسجد.

ومن الإشارات الرائعة فيما يختص بالأمور المالية، حين تجمع لدينا بعض المال يوم الذهاب، وحين رغبنا في إعطائه بعض العائلات كانوا يرفضون أخذ هذا المال.. هي مواقف عزة وكرامة.

كانت إحدى الأسر اللاجئة تسكن أحد المنازل بالإيجار، وأراد صاحب البيت بيعه وحاول طرد الأسرة، حتى لا تضيع البيعة من يده، فعلم بذلك أحد المحسنين الذي حاول إثناءه عن البيع، ولما فشل في ذلك اشترى هو البيت، وسمح للأسرة اللاجئة بالإقامة فيه.

● ماذا قال لك اللاجئون عن سبب لجوئهم؟

– يقولون: إن سبب لجوئهم هو النظام الأمني، والشبيحة، ويؤكد أحد الأشخاص أن رجال الأمن ذهبوا إلى بيته وسرقوا منه كل شيء، حتى أنهم كسروا كراسي الحمامات، فهذا الرجل كيف يعود إلى بيته؟

هناك رعب وخوف مما جرى لهم ورؤية ضبابية للمستقبل خوفاً من النظام القمعي الذي يراه ويسمعه العالم أجمع.. عائلات مقسمة في أكثر من مكان لا تدري إلى أين مصيرها وكيف يستقبلون شهر رمضان، وأين يقضون العيد.. وأمور كثيرة تحتاج إلى إجابات.

● سمعنا عن لاجئين تم الزج بهم في السجون اللبنانية.. ما حقيقة ذلك؟

– نعم هناك عشرات اللاجئين تم الزج بهم إلى السجون اللبنانية بتهمة دخول لبنان خلسة علماً بأن هناك مليون عامل سوري يدخلون بهذه الطريقة ولا يتعرضون لأي مضايقات.. وهذا يرجع إلى التقاسم السياسي والأمني في لبنان، هناك شخص من بلدة «تلكلخ»، رأيته في سجن القبة، سألته: لماذا أنت هنا؟ فأخبرني أنه لا يدري.

يقول أحد هؤلاء الضحايا لي خلال زيارة للسجن: إنه دخل لبنان مع عشرة من أخواته لكن بعد الزج به في السجن لا يعرف مصير أخواته، ومازال سؤاله حائراً دون إجابة من أحد!

وقد رأيت في السجن شخصين وجدا مصابين في منطقة «تلكلخ» على قارعة الطريق وفي أنفاسهما الأخيرة، وتم إدخالهما إلى العناية الفائقة في السجن، وقد كانت جروحهما كلها في منطقة الوجه، وقريبة من العيون والخدين بواسطة السكاكين، وسمعت أحد مديري المستشفى في لبنان، يقول: أنا شخصياً أطبب هؤلاء وأتحفظ عليهم... إنها جرائم الشبيحة، وتم نقلهما للسجن بتهمة الدخول خلسة إلى لبنان أيضاً – لكن للحق – فإن الأطباء يقدمون لهم كل عناية ويحافظون عليهم، كما أن السجانين وحتى المساجين الجنائيين يتعاطفون بتقديم الطعام والملابس.

● ماذا تعرف عن الشبيحة؟

– هم شباب عاطل عن العمل، يتقاضى الشاب منهم ٥٠٠ دولار من سلطات الأمن؛ حتى يعيث في الأرض فساداً لصالح السلطات، وهذا المبلغ يعتبر مبلغاً كبيراً جداً بالنسبة للوضع الاقتصادي المتدهور في سورية، وقد خولت لهم سلطات الأمن امتلاك ما ينهبونه من الناس وهذا ما يرويه شهود عيان.

● كيف تنظر إلى مستقبل هؤلاء اللاجئين المنتشرين في المنطقة التي تقيم فيها؟

– مستقبل غامض، فهؤلاء لا يعلمون كيف يدبرون أمورهم المعيشية إذ لا يملكون شيئاً من حطام الدنيا رغم حياتهم الميسرة في سورية، ولايعرفون شيئاً عن مصير أبنائهم وكيف يواصلون دراستهم؟ وهل يلتحقون بالمدارس اللبنانية، أم يخاطرون بالذهاب إلى سورية، أم ينتظرون مهما طال الأمد؟

وفي حال الالتحاق بالمدارس اللبنانية لابد من وجود أوراق ثبوتية رسمية، وهي غير متوافرة معهم، وهذه قضية خطيرة جداً، فالمدارس على الأبواب، وهذا الأمر يحمل الدولة اللبنانية مسؤولية كبيرة جداً.. كما يحمل المنظمات والجمعيات والأحزاب الإسلامية مسؤولية جسيمة، باعتبار أن هذه القضية سياسية وإنسانية يجب أن يتحمل الشعب اللبناني والحكومة اللبنانية والعالم العربي والمنظمات الإغاثية مسؤليتهم تجاهها؛ فالقضية تكبر ككرة الثلج.

● أنت بعد عودتك إلى لبنان فيم تفكر بعمله لمساعدة هؤلاء اللاجئين؟

– أفكر في السعي لإقامة مدينة «ملاهي» للأطفال، لإدخال البهجة إلى قلوبهم، بعد أن فقدوا وسائل الترفيه، كذلك أسعى لعمل وسائل ترفيه للفتيات، لقضاء أوقاتهن.■

عضو المكتب التنفيذي للمؤتمر السوري للتغيير.. المعارض «ملهم الدروبي» لـ«المجتمع»

عرضنا تشكيل مجلس انتقالي يعدل الدستور ويجري انتخابات برلمانية ورئاسية خلال عام

حوار: جمال الشرقاوي

أكد المهندس ملهم الدروبي؛ عضو المكتب التنفيذي للمؤتمر السوري للتغيير أن المؤتمر الذي عقد بتركيا جاء بدعوة من مجموعة من رجال الأعمال السوريين، دعوا جميع أطياف وأبناء الشعب السوري: عرباً وأكراداً وتركمان وشركس، وكافة الأديان والمذاهب: المسلمين السنة والعلويين والدروز والإسماعيليين، وجميع الأطياف السياسية والحزبية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، مشيراً إلى أن المؤتمر مثل الشارع السوري بكل مكوناته، فالحضور غالبيتهم كانوا من معارضة المهجر، لكن هذه المعارضة لها امتداداتها من داخل سورية، وجاء من داخل سورية بعض الممثلين عن اللجان التنسيقية والشباب. والمؤتمر عقد لمناقشة «ماذا نفعل وكيف نخرج من الأزمة في سورية؟»

غالبية الطائفة العلوية متضررة من استبداد نظام «بشار» مثل جميع أبناء الشعب السوري

وأوضح الدروبي أن فعاليات المؤتمر تضمنت ست ورش عمل على مدار يومين متتاليين، ووضعت مقترحات عملية حول الآليات والطرق التي يجب العمل بها للوصول بسورية إلى أول درب الحرية والديمقراطية.

هيئة استشارية

كما تم في المؤتمر أيضاً انتخاب هيئة استشارية في عملية انتخابية مثلت روح الديمقراطية بشفافيتها، وباشتراك الجميع فيها.

هذه الهيئة الاستشارية تشكلت من ٣١ رجلاً وسيدة، من كافة مكونات الشعب السوري وأديانه وأعراقه ومذاهبه.

مهمتها الأولى: وضع خارطة طريق لسورية «كيف ننهي هذا الاستبداد الموجود حالياً، وكيف نخرج بسورية إلى مستقبل حر ديمقراطي؟

مهمتها الثانية: انتخاب مكتب تنفيذي مهمته وضع خطة عمل لدعم الثورة في سورية ومباشرة تنفيذها.

وأضاف الدروبي: العمل في هذه الثورة له جانبان، الجانب الأول في داخل الشارع السوري، فجميع أبناء وبنات وأحرار وحرائر سورية يقومون بعمل بطولي رائع يقدمون كل ما يستطيعون؛ أرواحهم وأموالهم للخروج بسورية من المأزق الذي تعيش فيه، وهناك أيضاً المعارضة في المهجر.

فمن ينظر لهذه الثورة يستطيع ببساطة أن يحدد أمرين رئيسين، هناك من يصنع الثورة وهناك من يمنع الثورة، من يصنع الثورة كما ذكرت شباب سورية، ومن يستطيع أن يمنع الثورة المجتمع الدولي، ومهمتنا – في الخارج كمعارضة – أن نحاور هذا المجتمع

الدولي، كي لا يمنع هذه الثورة من أن تؤتي ثمارها وأكلها، كيف يكون ذلك؟ من خلال بلورة بديل لنظام الاستبداد القائم يطمئن إليه جميع المعنيين بعملية التغيير، فما هو هذا البديل؟.. لأن الناس أخشى ما يخشونه هو المجهول، البديل يجب أن يكون مفرزاً من مفرزات العملية الديمقراطية، يقول الشعب كلمته من خلال انتخابات حرة ونزيهة وشفافة، وصندوق الاقتراع هو الفيصل.

تحرك الجيش

● الشعب السوري يؤدي ما عليه من خلال المظاهرات، لكن هل تتطلعون لتحرك ما من الجيش؟

– جيش سورية جيش عظيم منذ استقلال البلاد، ولكن للأسف الشديد في الأربعين سنة الماضية بعد ما كان في المواجهة صار هناك تسييس للجيش وأصابه بعض الخلل، لكن

ننظر لتركيا على أنها الشقيقة الكبرى لسورية ونتوقع منها دوراً أكبر في حل الأزمة

لايزال في هذا الجيش الكثير من الشرفاء، الذين أقسموا بقسم عسكري لحماية هذا الوطن مما يتهدده، وما يتهدد الوطن، ليس دوماً تهديداً خارجياً، فما يتهدد هذا الوطن حالياً الاستبداد الداخلي، فنحن ندعو ضباط الجيش وجنوده الشرفاء أن يقوموا بدورهم في حماية هذا الشعب الأعزل، وأن يكونوا عوناً له، وأخاطب إخواننا في الطائفة العلوية الذين لهم يد طولى في الأجهزة الأمنية، ويد طولى في الجيش العربي السوري، إن من مصلحتهم كمكون رئيس من مكونات الشعب السوري أن ينحازوا إلى الشعب، وألا ينحازوا وراء الوعود الواهمة لـ «بشار الأسد» الذي يريد أن يربط مصير هذه الطائفة بمصيره الشخصي، ومصير عائلته.

ونحن نقول لهم: أنتم في أمان بعد أن يزول بشار الأسد ويزول نظامه طالما أنكم انحزتم إلى جانب الشعب السوري في مطالبه العادلة، ونحن لدينا في الهيئة الاستشارية للمؤتمر السوري للتغيير ثلاثة من العلويين وفي المكتب التنفيذي أيضاً لدينا سيدة علوية من أصل تسعة بالمكتب، ليس كل أفراد الطائفة العلوية مع «بشار الأسد»، الكثير منهم وغالبيتهم من الشرفاء وكثير منهم من المتضررين من استبداد هذا النظام مثلهم مثل جميع أبناء الشعب السوري.

دور تركي

● هل هناك احتمال أن يأتي حل عن طريق تركيا؟

– تركيا إحدى دول الجوار السوري فهناك ٨٥٠ كيلو متراً على الحدود بين البلدين، وهناك قواسم مشتركة بينهما المياه، القرابات والعلاقات، والتزاوج بين السوريين والأتراك، نحن ننظر لتركيا على أنها الشقيقة الكبرى للسوريين، ونثق بالحكومة التركية الحالية والشعب التركي، لن يرضوا لشعب مسلم أو عربي وخاصة سورية دولة الجوار أن يروها تعيش حالة مأساوية من الاستبداد ومن المتوقع أن تمد تركيا يد العون للشعب السوري.

عصابات مسلحة

● أتباع النظام يرددون في الإعلام السوري بأن الأمر ليس ثورة شعب ولكن عصابات مسلحة تقتل الناس وتقتل قوات الأمن والجيش فما ردك؟

– أبواق النظام استمرت لمدة شهور تقول: ليس هناك مظاهرات ولا ثورة، لكن في الأخير ظهر «بشار» ليؤكد أن هناك مظاهرات بعد أن كان في السابق ينفي وجودها، وبعدها اعترفت أبواق النظام بوجود مظاهرات؛ لأنه لم يعد هناك مجال للنفي، أما الادعاءات بأن هناك عصابات مسلحة تقتل المتظاهرين؛ وتقتل رجال الأمن والجيش، الحقيقة معروفة بأن العصابات المسلحة هم من الأجهزة الرسمية الأمنية وغير الرسمية «ما يسمى بشبيحة النظام»، وهم من مرتزقة النظام وبعضهم عملياً من أجهزة الأمن ولكن يرتدي لباساً مدنياً.. ونحن نتساءل عندما يسير النظام في بعض الأحيان مظاهرات مؤيدة لبشار «يخرج الطلاب والموظفين والعمال من مصانعهم بالإجبار، والجنود من الثكنات بلباس مدني بالإجبار» لماذا لا يقتل أحد فيها؟ لماذا القتل فقط في المظاهرات التي ضد بشار؟!

● سمعت أحد أبواق النظام يتحدث لإحدى الإذاعات الأجنبية ويدعي أن آلاف الفارين لتركيا هم أبناء وزوجات المسلحين الإرهابيين الذين يقتلون الناس فما تعليقكم؟

– حالتهم يرثى لها حقيقة هؤلاء المدافعين عن «بشار» من أبواق النظام وليس عندهم قضية عادلة أو منطق يستطيعون أن يدافعوا عنه فهم مساكين يتخبطون يميناً وشمالاً ويقولون كلاماً ليس له دليل أو منطق، وغير متسلسل منطقياً فحالتهم يرثى لها.

خطوات الإصلاح

● ما تصوركم للإصلاحات السياسية التي يجب أن تتم؟

– «بشار» أثبت وبجدارة أنه رئيس فاشل وأنه غير قادر على حكم سورية بطريقة عادلة وآمنة، وغير قادر على الإصلاح، فلو أراد أن يصلح يوم أن حلف اليمين الدستوري لفعل، رغم أن طريقة تسلمه للرئاسة كانت غير شرعية عبارة عن مسرحية، تعديل الدستور وتسلمه للرئاسة، ورغم كل هذا قلنا نعطيه فرصة أعطيناه الفرصة تلو الفرصة.

يجب على شرفاء الجيش السوري التحرك لحماية الشعب

«بشار» أثبت بجدارة أنه رئيس فاشل وغير راغب في الإصلاح

ومع ذلك استمر في قتل وتشريد الناس.. فهذا الرجل بالنسبة لنا كمعارضة سورية لم نعد نرى له حلاً إلا أن يستقيل فوراً.. في البيان الختامي لـ«أنطاليا» عرضنا عليه أن يستقيل ويسلم مسؤولياته وصلاحياته لمجلس انتقالي، ونحن نقول حفاظاً على الوطن وجميع أبناء سورية، منعاً للفوضى والفراغ الدستوري، وليطمئن جميع المعنيين بعملية التغيير: إنه لن تحدث فوضى في سورية، ليس لدينا مانع أن يتسلم المجلس الانتقالي خمسة يضاف إليهم اثنان أو ثلاثة من المعارضة، الخمسة: هم رئيس مجلس الشعب الحالي، ورئيس مجلس الوزراء الحالي، ورئيس هيئة الأركان العامة الحالي، ووزير الدفاع الحالي، ورئيس الاستخبارات العامة الحالي، هؤلاء ليسوا استمراراً للنظام حتى لا يُفهم هذا العرض بطريقة خاطئة، وإنما مؤقتاً يديرون شؤون البلاد ريثما يتعدل الدستور وتشكل الأحزاب، وتتم الانتخابات الحرة النزيهة التي تشرف عليها منظمات دولية، ولا مانع أن يشارك بعض رموز المعارضة الشريفة من داخل سورية يختارها الشعب في هذا المجلس الانتقالي، ومن الضروري خلال هذه الفترة السماح بالمظاهرات السلمية وعدم التعرض لها؛ لأن هذه المظاهرات هي المجس لنبض الشارع لتقويم ومراقبة أداء المجلس الانتقالي خلال هذه الفترة المحددة والتي يجب ألا تزيد عن ١٢ شهراً.

الشعب السوري كسر حاجز الخوف.. الناس تخرج بمئات الآلاف في جميع المناطق في جميع المدن والمحافظات، الشعب السوري انطلق ولن يعود إلى الوراء إذا لم يرض ويقبل «بشار الأسد» بهذا العرض، فعليه أن يتحمل كل المسؤوليات وكل التبعات التي ستجري بسبب تعنته وبسبب رفضه لهذه العروض.■

خيرت الشاطر نائب المرشد العام للإخوان المسلمين في حوار شامل (أخيرة)

البعض يعتبر الفكر والثقافة من ثوابت الجماعة.. وهذا غير صحيح

حوار: أحمد عز الدين

في الجزء الأول من حوارنا معه، أشار المهندس خيرت الشاطر (نائب المرشد العام للإخوان المسلمين) إلى المهام الست الإستراتيجية الرئيسة التي تنشغل بها جماعة الإخوان المسلمين، وأولها المساهمة في بناء نهضة مصر والأمة على أساس من المرجعية الإسلامية، وقد دار الحديث في الحلقة السابقة حول تلك المهمة، ثم تعرضنا لقضية «تمرد الشباب» كما يحلو للبعض أن يسميها، واليوم نتحدث عن مهمة تطوير وتقوية عمل الجماعة بحيث تصبح قادرة على القيام بالواجبات الملقاة على عاتقها في المهام الأخرى.

عند التطوير.. تحتاج لمعالجة آثار سلبية وتقوية أعمال كانت موجودة بشكل تقليدي من أجل تلبية الاحتياجات الجديدة

● مشروع تطوير الجماعة الذي أوكله إليك المرشد العام للإخوان، هل له علاقة بمشروع النهضة؟

– مشروع النهضة هو الإطار العام الذي نتكلم فيه، ومسألة التطوير مقصود بها تقوية وتطوير العمل الإخواني بحيث يكون قادراً على التعامل مع المهام التي ذكرناها في الحلقة السابقة من الحوار، وأولها المساهمة في بناء النهضة. ولذلك رتبنا في «مؤسسة تحالف نهضة مصر» مشروعاً اسمه (١٠٠/١٠٠). اخترنا مائة شخص من الإخوان ومثلهم من غير الإخوان كمرحلة أولى لتدريبهم تدريباً مكثفاً للتعاون في الإشراف على الجمعيات التي ستنشأ أو

لابد أن يتعرض التطوير للثقافة السائدة لدي الجماعة وتحديد بعض المواقف الفكرية التي قد تكون بحاجة لذلك

تلك الموجودة، إذ ليست لدينا الكوادر المدربة. وبمجرد الإعلان عن الفكرة جاءتنا طلبات كثيرة من جمعيات تطلب الدعم والتنسيق، ونحن نحتاج إلى تحويل الجمعيات القائمة كي تدار بشكل مؤسسي.

● ما المقصود بالتطوير بينما الجماعة تؤكد دائماً على الثوابت؟ هل هو تطوير إداري أو لائحي؟

– الفكرة العامة للتطوير أنك بحاجة لمعالجة آثار سلبية، وتقوية أعمال كانت موجودة بشكل تقليدي لتلبي احتياجات جديدة نشأت، كما أنه لابد أن يتعرض التطوير للثقافة السائدة لدى الجماعة، وتحديد بعض المواقف الفكرية، ومراجعة الخطط والإستراتيجيات التي وضعتها الجماعة في ظل واقع معين ولا يصح استمرارها، وإعادة النظر في مناهج التربية والوسائل والأساليب ومجالات العمل الرئيسة.

● تحدثت عن أكثر من مجال للتطوير.. نتناولها بالترتيب.

التطوير له أكثر من بعد:

– بعد متعلق بعلاج مشكلات وآثار سلبية، وقصور في الأداء، موجود في الجماعة بسبب التضييق والإجراءات القمعية التي تعرضت لها الجماعة. لقد سُجن أكثر من ٣٠ ألف شخص خلال العشرين سنة الأخيرة، كثير منهم سجن أكثر من مرة، فضلاً عن مجموعة من الإجراءات القمعية الأخرى، والتضييق على حركة الإخوان داخل المجتمع، وهذا الإجراء الذي اتبعه النظام السابق يسمى: «إغلاق البيئة الخارجية للعمل»، وكذلك حملة تشويه الجماعة وتخويف الناس منها.

وقد نتج عن تلك الإجراءات مجموعة من الآثار السلبية داخل الجماعة أثرت على الثقافة السائدة ورؤية الإخوان للعمل كما أثرت على اللوائح والهياكل، وطريقة الاتصال بين القيادة والقواعد، وحدود الحركة والتواصل مع الآخرين، مثل الأقباط والأحزاب. هذه الآثار تحتاج إلى علاج وإلى تغيير في النمط. كانت لوائح الجماعة متمشية مع الوضع الأمني، وتحركاتها مرتبطة بالوضع الأمني.. الآن مطلوب إحداث قدر من التغيير نتيجة الوضع الذي تحسن، لمعالجة الآثار السلبية الموجودة.

– أمر آخر هناك استحقاقات جديدة مستحدثة، فمهمة الجماعة الأساسية هي المشاركة في بناء النهضة، والآن يمكنك التحرك بعد فتح البيئة الخارجية، وبالتالي المنافذ التي تتحرك من خلالها للحديث في مشروع النهضة. هناك أيضاً الحفاظ على قدر مناسب من حرارة الثورة أمر جديد.. بناء الحزب.. الاستحقاقات السياسية الجديدة واحتمالات المشاركة في الحكم. أمامك استحقاقات جديدة تحتاج أدوات ووسائل وربما تحتاج وحدات جديدة.

● هل هناك اتجاه لإنشاء أقسام جديدة في الجماعة؟

– مطروح إيجاد وحدة للعمل المجتمعي أو الشعبي.. تعودنا في العمل العام على أعمال البر ونشر الدعوة والطلبة، ولكن الآن مطلوب جمعيات وتحالفات من أجل مهام أخرى: الفراغ الأمني، النظافة، التشجير.. من يتعامل معها؟ هناك توجيه صدر من الإخوان مؤخراً بأن كل «شُعبة» من شُعب الإخوان تفكر في مشروع أو أكثر تتبناه وتتحالف حوله مع تيارات أخرى داخل منطقتها، فهناك اقتراح بإنشاء كيان للعمل المجتمعي، ولا مانع أن يشارك فيه قسم البر، وغيره ممن يخدمون المجتمع.

وهناك اقتراح آخر بإنشاء قسم لتكنولوجيا المعلومات «آي تي»، وسبق أن كان هناك اقتراح بإنشاء قسم للإعلام، وقد عاد طرحه بشكل قوي.

التطوير تناقشه قواعد الإخوان

● من يناقش مسألة تطوير الجماعة؟

– في مقابلاتي في المحافظات أطلب لقاء عموم القاعدة الإخوانية رجالاً ونساء، ولا أقابل المسؤولين فحسب. كثيرون يفهمون التطوير خطأً، ربما شخص بينه وبين آخر مشكلة ويريد تغييره فتجده يطالب بتعديل اللوائح، يجب أن ننظر إلى التطوير على نطاق واسع وفي ضوء المهام التي عرضناها.

● قلت في أحد أحاديثك: إنه لا بد من مراجعة الأهداف والبرامج.. أليست الأهداف من الثوابت؟

الإطار العام للثوابت أن الجماعة هي الأداة المعتمدة لتحقيق الأهداف وأنها تسير في ٣ خطوط هي التعريف والتكوين والتنفيذ.. أما أي تفاصيل فهي من المتغيرات

– لا أقصد الأهداف الرئيسة، وحين أتحدث عن التطوير فإنني أضع ٣ مقدمات: الأولى عن الثابت والمتغير في منهج الإخوان، ونتكلم عن الثوابت؛ أي المهمة الإجمالية وهي بناء نهضة الأمة على أساس المرجعية الإسلامية، وهي تقسم إلى ٦ مراحل: تنظيم حياة الفرد والبيت والمجتمع على أساس المرجعية الإسلامية، ووجود حكومة تعتمد المرجعية الإسلامية في إدارة شؤون الناس، ورابطة المسلمين العالمية، ورابطة المسلمين مع الدائرة الإنسانية الواسعة.

وحين نتكلم عن الحكم بالذات نقول بكل وضوح: إن هذا لا يعني أننا نطلب الحكم لأنفسنا، ولكن المهم وجود حكومة تتبنى هذه المرجعية، فالأهداف هنا المقصود بها ما يتعلق بالمتغيرات.

● والثقافة .. هل هي من الثوابت أم المتغيرات؟

– البعض يعتبر الفكر والثقافة من الثوابت وهذا غير صحيح.. لو افترضنا أن الثقافة السائدة هي الانغلاق على الذات فهذا ليس من الثوابت، وإذا كان المفهوم السائد عدم توظيف المرأة في الدعوة فهذا مفهوم ثقافي يحتاج للتغيير، كما أن بعض المواقف الفكرية تحتاج إلى الاستقرار عليها وعرضها، مثلاً الموقف من الأقباط أزعم أنه ليس واضحاً لدى عموم الإخوان.. الموقف من التيارات الفكرية المخالفة، هذه مواقف فكرية تحتاج لتحديد وتوضيح وصياغة محكمة لتكون جزءاً من ثقافة الإخوان.

● ما هي الثوابت إذاً؟

– أهدافي الأساسية أن الجماعة هي الأداة المعتمدة لتحقيق الأهداف، وأن الجماعة تسير في ٣ خطوط، هي التعريف

والتكوين والتنفيذ، هذا هو الإطار العام للثوابت، وأي تفاصيل تعد من المتغيرات: الثقافة السائدة داخل الجماعة، مواقفنا من الأحداث، مجالات العمل، برامجنا، خططنا، مناهج تربيتنا، وسائل وأساليب التربية.. هذه ليست ثوابت.

● بعد ٤ شهور من بدء عملية التطوير هل تبلورت الصورة؟

– العمل بدأ منذ أول أبريل، وقد حددنا للمهمة مدة من ٤ – ٦ شهور لنصل إلى إستراتيجية واضحة للتغيير داخل جسم الجماعة، لكن وجدنا أن بعض الأمور لا تحتمل الانتظار لحين الانتهاء من موضوع التطوير، فحددنا مجموعة من الموضوعات العاجلة وأقمنا بشأنها ورش عمل وانتهينا إلى تصورات، ونزلت للقواعد للتطبيق. من ذلك مثلاً طريقة إدارة مكتب الإرشاد لجسم الجماعة؛ فلا ينبغي انتظار ٦ شهور من أجل زيادة التواصل مع جسم الجماعة أو من أجل تفعيل الشورى، حددنا ٢٢ نقطة من هذا النوع، منها عقد اجتماع مكتب الإرشاد كل شهرين مع مسؤولي المكاتب والأقسام وكان متوقفاً منذ فترة بسبب الظروف الأمنية.. مجلس الشورى اجتمع ٣ مرات خلال هذا العام. عقد مؤتمر المرأة هذا الشهر، وسيعقد مؤتمر آخر للطلاب في شهر سبتمبر، مؤتمر لمجالس شورى المحافظات مع مكتب الإرشاد مرة في السنة، ومؤتمر للمكاتب الإدارية في المحافظات مع مكتب الإرشاد، وضعنا مجموعة من الآليات لتطوير شكل وطريقة إدارة مكتب الإرشاد لجسم الجماعة ولم ننتظر، لكن قلنا: إنه لو أتت مقترحات التطوير بما هو أفضل فسنحسنه.

● ما ذكرته كله يتجه إلى داخل الجماعة.

– ليس شرطاً.. قضية العلاقات الخارجية مثلاً.. أصبحت تأتينا وفود خارجية كثيرة، وهو أمر لم نكن معتادين عليه، ولم يكن مسموحاً به في مصر، لكنه أصبح قائماً ولا يحتمل التأجيل، فكونا وحدة للعلاقات الخارجية، ووضعنا لها تصوراً

المهمة الإجمالية للإخوان: بناء نهضة الأمة على أساس المرجعية الإسلامية

لا نطلب الحكم لأنفسنا.. ولكن المهم وجود حكومة تتبنى هذه المرجعية

وإستراتيجية وسياسات، وأفراداً.

● هذا يدخلنا في نقطة التزاوج بين عمل الجماعة والحزب، كلاهما سيكون له أمانة أو وحدة للعلاقات الخارجية.. أي مساران متوازيان.

– ما يحدث أن البعض يطلب لقاء الجماعة والبعض يطلب لقاء الحزب.. ثانياً الجماعة مشغولة بقضية النهضة ككل، بينما الحزب مشغول بالمجال السياسي بدرجة أكبر، وبالتالي لنا اهتمامات في مجالات مختلفة قد لا تكون داخلة في مجال عمل الحزب، ومن الممكن أن يكون هناك تواصل دولي أحياناً، وهذا يحدث بالفعل.

● ما الآليات التي تسير بها العملية؟

– الفريق الذي يتولى عملية التطوير يضم ٦– ٧ من أعضاء مكتب الإرشاد ومعه مجموعات فنية مساعدة من أهل الخبرة والتخصص؛ مجموعات إدارة أعمال وإحصاء واستقصاء.. إلخ، ونحن نشرح لكل أفراد الإخوان معنى التطوير وآفاقه، ثم نطلب منهم اقتراحاتهم للتطوير، ونحفزهم ليشغلوا أنفسهم بفكرة تطوير الجماعة واستخراج المقترحات.

وهناك استبيان بعدد من الأسئلة: هل لك مقترحات خاصة بالثقافة، المواقف الفكرية، البرامج والرؤى، مناهج التربية، مجالات العمل، الخطط والبرامج، الهياكل واللوائح؟ ثم نترك لهم سؤالا مفتوحاً. وهناك صفحة على النت لتلقي المقترحات وقد وصلني عبرها أكثر من ٦ آلاف مقترح بخلاف ما يأتي من المحافظات.. ثم يتم تبويب المقترحات، وفي كل مجال يؤخذ رأي الجهات ذات الصلة بالموضوع، مجموعة من المتخصصين، وجزء من الميدانيين الممارسين للعمل، ثم المسؤولين عن العمل داخل الجماعة، وبعد أخذ الرأي تقسم إلى قسمين رئيسين:

قسم يدخل في مجال عمل الوحدات والأقسام دون حاجة لأخذ رأي الإخوان فيه مرة أخرى.

أما الأمور التي تترتب عليها تغييرات إدارية أو لائحية، مثل اقتراح انتخاب مكتب الإرشاد والمكتب الإداري من قاعدة الإخوان وليس من مجلس الشورى، أو وجود حصص أو «كوته» للشباب في التشكيلات الإدارية، أو إعادة النظر في تمثيل المرأة في المستويات التنظيمية والإدارية.. هذه الاقتراحات نعود ونصمم استبيانات محددة بشأنها لاستطلاع الرأي على مستوى عموم الإخوان قبل العرض على المؤسسات الشورية التي تعدل اللوائح، ليكون القرار مبنياً على شورى حقيقية، وبعد إقراره ينزل للوحدات.

وتبقى هناك وحدة بسيطة مكونة من المجموعة التي عملت في ملف التطوير، مع لجنة «الخطة والتنمية الإدارية» لمتابعة تنفيذ البرامج التي خرجت من التطوير خشية ألا ينفذ ما تقرر أو لا ينفذ جزء منه.■

رئيس وفد الندوة العالمية للشباب الإسلامي.. د.محمد سعيد الغامدي لـ«المجتمع»:

أطلقنا خمس حملات إغاثة منذ بداية الأحداث في ليبيا

في أول حوار صحفي له بعد عودته من ليبيا، أكد رئيس وفد الإغاثة بالندوة العالمية للشباب الإسلامي «د.محمد سعيد الغامدي» أن «الندوة» لا تتوانى عن تقديم مساعداتها الإنسانية العاجلة للمسلمين في أقطار الأرض، حينما تلم بهم الأزمات والكوارث؛ حيث سيَّرت خَمس حملات إغاثية للاجئين الليبيين؛ أربعة منها نظمها مكتب «الندوة» في القاهرة، ركزت على الإغاثة الطبية، وزودت المستشفيات والمراكز الطبية الليبية بالمؤن والاحتياجات والأجهزة الطبية العاجلة، وعملت على توفير كثير من الخدمات العلاجية، والتنسيق والتعاون مع المؤسسات الإنسانية والطبية العربية والدولية. وأوضح - في حواره مع «المجتمع» - أن الحملة الخامسة انطلقت لمساعدة اللاجئين على الحدود التونسية، وركزت على الجانب الغذائي؛ نظراً لاحتياجهم الشديد إليه، خاصة مع ازدياد أعدادهم يوماً بعد يوم.. والمزيد من التفاصيل في نص الحوار:

ترحيب التونسيين بأشقائهم اللاجئين يعكس صورة رائعة للترابط الإسلامي في ظل المحنة

حوار: حاتم سلامة

● أين كانت «الندوة» منذ بداية الأحداث الليبية؟

- شاركت «الندوة» في إغاثة ليبيا منذ بداية الأحداث عبر مكتبها في مصر، وتم التواصل عبر منفذ «السويلم» من أجل إيصال أربع حملات إغاثة إلى داخل ليبيا، ونفذنا الحملة الخامسة بالجهة الغربية؛ نظراً لتفاقم المشكلة وازدياد أعداد اللاجئين عبر الحدود التونسية، حيث استغرق فريقنا خمسة أيام بتونس، ورأينا على الواقع أوضاع اللاجئين واحتياجاتهم، وأعدادهم داخل تونس التي وصلت إلى نحو ٥٠٠ ألف، أما أعدادهم على الحدود فيصل إلى ٢٠٠ ألف أسرة ليبية، أغلبية أفرادها من النساء والأطفال والمسنّين.

أوضاع مأساوية

● حدثنا عن الأوضاع الإنسانية للاجئين؟

- أثناء زيارتنا لتونس، ومرورنا بمنفذ «رأس جدير»، لاحظنا اكتظاظه بالسيارات الخارجة من ليبيا، وأخبرنا القائمون على المنفذ بأن أكثر من ألف سيارة تعبر يومياً إلى تونس نتيجة لشدة القصف والصراع داخل ليبيا.. ومن خلال مشاهداتنا لأوضاعهم المأساوية، رأينا كثيراً منهم في حالة فزع شديد، وقد خرجوا وتركوا وراءهم منازلهم وأمتعتهم واحتياجاتهم، ولم يخرجوا إلا بما خفَّ حمله، وهم في حاجة ماسة إلى الغذاء والكساء والرعاية الطبية.

كما وجدنا مشكلة أخرى، تتمثل في أن التونسيين الذين يعيشون في الجنوب يعانون من فقر شديد، فلما قَدِم إليهم اللاجئون تفاقمت المشكلة، وازدادت حالتهم استياءً، فرأينا أنه لابد من توجيه الدعم للعائلات

التونسية مع اللاجئين؛ نظراً لاحتياج الفريقين وتوحد المشكلة.

● ماذا قدّمتم؟

- قدّمنا سلالاً غذائية، وساهمنا في رعاية اللاجئين، وما يُسمَّى بالعلاج النفسي، وإشراك الأطفال والنساء في بعض البرامج اليومية التي أقامتها «جمعية تونس الخيرية» و«جمعية الكشافة الإسلامية» للترفيه عن الأطفال والنساء، والمساهمة في إخراجهم من الأزمة النفسية التي خلفها التهجير والحرب، وشغل أوقاتهم فيما ينفع.. ثم بدأنا العمل كمرحلة أولى، وساهمنا مع خَمس جهات في إقامة بعض برامج الإغاثة، على رأسها المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة في مخيم «رمادة».

وزرنا عدداً من المخيمات التي أقامتها بعض الدول العربية؛ مثل قطر والإمارات، وكللنا زياراتنا بتجهيز قافلة إغاثة تضم مجموعة من السلال الغذائية والمواد التموينية ومواد التنظيف، واحتياجات الأطفال من

قمنا بتزويد المستشفيات والمراكز الطبية بالمؤن والأجهزة الطبية اللازمة للخدمات العلاجية

اللاجئون يحتاجون الغذاء والكساء والرعاية الصحية.. ويعانون أضراراً نفسية من آثار التهجير

الحليب وغيره، تم شراؤها من تونس، ووفرنا الحاويات التي تنقلها إلى منطقة الجبل بمدينة «رحبان»، وتم توزيعها على المحتاجين والأسر التي مازالت بالمنطقة.

أضرار نفسية

● الاحتياجات المطلوبة، طبية أم غذائية؟

– ما يحتاجه اللاجئون هي المتطلبات العادية، والمستلزمات التي يحيا بها الإنسان، فالحاجة الأساسية تتركز على المأوى والغذاء، ومعالجة الأضرار النفسية التي تحتاج إلى جهد كبير، فما يُقام من برامج لا يغطي جميع اللاجئين.

● حدِّثنا عن دوركم الطبي في الإغاثة؟

– حملاتنا الأربعة التي تم تسييرها إلى الداخل الليبي ركزت على جانب الإغاثة الطبية؛ إذ قامت بتزويد المستشفيات والمراكز الطبية بالمؤن والاحتياجات والأجهزة الطبية العاجلة، وتوفير كثير من الخدمات العلاجية، والتنسيق والتعاون مع المؤسسات الإنسانية والطبية العربية والدولية؛ حيث انهار النظام الصحي بسبب سقوط النظام في دولة كبيرة مترامية الأطراف.

وهناك أعداد كبيرة من المرضى والمصابين وحالات أخرى تستدعي التدخل العلاجي، إضافة إلى الأمراض المزمنة والمشكلات الصحية التي كانت تعتمد على النظام الصحي الذي انهار، إضافة إلى مشكلة تقديم الخدمات الصحية كقضية التغذية، ولاسيما تغذية الأطفال.

ترابُط وتعاون

● كيف رحّب الشعب التونسي باللاجئين؟

– الشيء اللافت في المجتمع التونسي، خاصة في الجنوب، أن وضعه الاقتصادي محدود، وهناك احتياج حقيقي للتطوير والإمكانات، ومع ذلك لم نجد أي لاجيء خارج منظومة الإيواء المدني وخارج البيوت، وقد سمعنا عن العائلة الواحدة التي استوعبت ورحبت بأكثر من عائلة يزيد عدد أفراد كلٍّ منها على عشرين شخصاً.. ودخلنا إلى عمق الريف التونسي، فوجدنا أكثر من قرية يستضيف ساكنوها مجموعة من الأسر اللاجئة، حيث شاهدنا صوراً رائعة للترابط الإسلامي في ظل هذه المحنة.

● هل أعداد اللاجئين في ازدياد؟

– يزدادون يوماً بعد يوم، ولكنهم في بعض المناطق في خروج ودخول مستمر كما أخبرنا المشرفون على «مخيم الإمارات»، فبعضهم بعد أن يأتي يسمع الوضع قد يتحسن فيعود، وقد يجده على خلاف ما سمع فيعود، فهم يتابعون بحذر وترقب ويودون العودة إلى مواطنهم.

● من خلال هذه الرحلة هل تحدثت إلى أحد الليبيين؟

– وجدنا أفراداً يعملون في مجال الإغاثة في جنوب تونس، وهناك بعض التشكيلات حديثة التكوين من الشباب الليبي يقومون بتسهيل توزيع الأسر على مختلف مناطق الإيواء، وساهموا معنا في توزيع مواد الإغاثة، واقتادوا شاحنات «الندوة العالمية» المحملة بمواد الإغاثة إلى داخل ليبيا ووزعوها على المحتاجين، وتحدثنا إلى كثير منهم فشعرنا بنفسيتهم المستاءة من أثر التهجير والإغتراب، والبعد عن الأوطان نتيجة العدوان وقصف المدنيين الآمنين، ولكنهم في الوقت نفسه يشكرون الله أن هيأ لهم طريق النجاة، ويأملون أن تنتهي مأساتهم في أقرب وقت.

مساعدات عاجلة

● هل هناك مؤسسات سعودية غير «الندوة العالمية» ساهمت في مساعدة اللاجئين؟

– حسب علمي ومعرفتي بالمشاركين، لم نجد غير «الندوة» في الميدان، والتي شاركت منذ بداية الأحداث وتفاقُم مشكلة اللاجئين؛ حيث وصلت حملاتنا لمساعدة اللاجئين حتى الآن إلى خَمس حملات؛ أربع منها وصلت عن طريق مصر، والخامسة عن طريق تونس، ونعد الآن للحملة السادسة.

● هل هذه هي المرة الأولى التي تقدِّم «الندوة» مساعداتها للاجئي الحروب؟

– «الندوة العالمية» تقدم مساعداتها العاجلة لكل المسلمين الذين تلمُّ بهم الأزمات والنكبات في مختلف أقطار العالم الإسلامي، كما فعلت في مساعدة لاجئي الحروب في الصومال، وإغاثة أهالي غزة، وفي فيضانات باكستان التي شردت الملايين، بل إن «الندوة» قدمت مساعداتها لغير المسلمين مراعاة للنواحي الإنسانية، كما فعلت في زلزال «هايتي».■

الشيخ عكرمة صبري لـ«المجتمع»:

ضغوط دولية متواصلة لمنع الدعم عن القدس وأهلها!

حوار: مصطفى صبري

بسرية تامة، وعلى مدار الساعة، تتسارع إجراءات سلطات الاحتلال لتهويد القدس، مؤكدة أن العدو الصهيوني مصمم على استكمال تهويد المدينة، وتدمير المعالم التاريخية، والسيطرة على الأوقاف الإسلامية التابعة للمسجد الأقصى المبارك؛ حيث بدأ بتهويد منطقة قصور الخلافة الأموية الملاصقة للمسجد، وتحويلها إلى ما يُعرف بـ«مطاهر الهيكل» المزعوم، وتحويل محيط المسجد والبلدة القديمة بالقدس إلى «حدائق توراتية».

وقد التقت «المجتمع» الشيخ «د. عكرمة صبري» خطيب المسجد الأقصى المبارك ورئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس، الذي أكد أن ما تقوم به سلطات الاحتلال هو طمس للآثار العربية والإسلامية في المدينة.. وفي السطور التالية تفاصيل الحوار:

فتح الباب على مصراعيه لزيارة المدينة لا ينقذها وإنما يكرّس الاحتلال الصهيوني لها

● كيف تقيِّمون وضع القدس في ظل التصريحات الصهيونية باحتمال انهيار المصلى المرواني والمسجد الأقصى بأكمله؟

– مما لا شك فيه أن السلطات الصهيونية المحتلة طامعة في المسجد الأقصى المبارك، وأن تصريحاتها بشأن انهيار المصلى المرواني الذي هو جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك تحمل في طياتها احتمالين:

- الاحتمال الأول: أن المصلى المرواني معرَّض فعلاً للانهيار من الناحية العمرانية الهندسية، والسبب في ذلك واضح يعود إلى الحفريات المستمرة والملاصقة للسور الجنوبي للمصلى المرواني، فقد حدثت اهتزازات للسور بفعل هذه الحفريات، وبالتالي فنحن نحمِّل السلطات الصهيونية مسؤولية ذلك.

- والاحتمال الثاني: أن المصلى المرواني غير معرَّض لخطر الانهيار، وإنما الهدف من هذه التصريحات هو تخويف المسلمين من الصلاة فيه، وبالتالي فسوف يصبح مهجوراً، فيسهل على السلطات الصهيونية اقتحام المصلى من الجهة الجنوبية الخارجية، وذلك من خلال الأبواب التي أغلقها صلاح الدين الأيوبي لأسباب أمنية، والهدف البعيد هو تحويل المصلى المرواني إلى كنيس يهودي.

وفي كلا الاحتمالين، لابد من اليقظة المستمرة، ولا بد من إعمار المصلى المرواني بتردد المصلين المسلمين عليه بشكل مستمر، وكذلك العمل على صيانته وترميمه.

حيطة وحذر

● الشخصيات المقدسية في دائرة التهديدات الصهيونية، كيف يمكن مواجهة هذه الأخطار؟

– الشخصيات المقدسية تشعر بالخطر لما تلقاه من مضايقات من قبل الاحتلال الصهيوني، وما على هذه الشخصيات إلا الثبات على مواقفها الإيمانية، مع أخذ الحيطة والحذر، معتمدين على الله سبحانه وتعالى الذي سيحفظهم ويرعاهم.

● مسؤولية الدفاع عن المسجد الأقصى تنحصر الآن في المقدسيين وأهل الداخل المحتل عام ١٩٤٨م بحكم الحصار وعزل القدس، فما خطتكم في ذلك؟

– لا بد من شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك بشكل يومي وفي جميع الأوقات، وهذا واجبنا في تذكير المصلين المسلمين بالتواجد في الأقصى، والنداء يشمل كل من يستطيع الوصول، وأرى أن تكثيف تواجد المصلين المسلمين سيكون حامياً للأقصى بعد الله عز وجل، مع لفت نظر الحراس المسلمين التابعين لدائرة الأوقاف الإسلامية بوجوب أخذ الحيطة واليقظة.

صمت مريب!

● هل أنتم راضون عن الدعم السياسي والمادي والمعنوي المقدَّم للقدس من العالمين العربي والإسلامي؟

– الجميع يعرف ويدرك أن الدعم السياسي والمادي والمعنوي للقدس ليس في المستوى المطلوب، إن لم نقل: إنه معدوم، فالصمت العربي مريب وعجيب وغريب.

● خطر تقسيم المسجد الأقصى قائم، فكيف يمكن مواجهته؟

– لن يتم التقسيم بإذن الله تعالى، ولا يجوز طرح هذا الاحتمال وتسويقه وترديده، فلن تتكرر المأساة التي تعرض لها المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل؛ لأن المسلمين في تواجد مستمر داخل المسجد الأقصى المبارك.

● التصدعات والأشجار التي تتساقط في ساحات المسجد الأقصى في الآونة الأخيرة دليل على خطورة وضع المسجد المبارك، فما رد فعل الجهات المسؤولة

خبراء الآثار اعترفوا بأنهم لم يجدوا أي أثر له علاقة بتاريخ اليهود القديم أثناء الحفريات

أطالب بتوفير ميزانية مالية سنوية لدعم مؤسساتنا في مجالات الإسكان والتعليم والصحة وغيرها

رئيس الهيئة الإسلامية العليا وخطيب المسجد الأقصى المبارك

والخطوات الوقائية؟

– ظاهرة سقوط الأشجار في باحات الأقصى تدل على وجود حفريات أسفل المسجد المبارك، ولا مجال للتصدي لهذه الحفريات إلا بالضغط الحقيقي من الدول العربية والإسلامية على السلطات الصهيونية، وتكثيف جهود حكوماتها للعمل على إنهاء الاحتلال.

أزمة ثقة

● أموال قمة «سرت» لم تصل حسب المصادر الفلسطينية، فما الأسباب؟

– من أهم أسباب ذلك وجود أزمة ثقة، وهناك أسباب أخرى تعود إلى الضغوط الدولية على الدول العربية لعدم تقديم أي دعم للقدس وأهلها.

● البعض ينتقد تعدد المرجعيات في القدس؛ للرئاسة ولمجلس الوزراء وأخرى للحركة الإسلامية إضافة إلى فصائل ومنظمات، ما تعقيبكم على ذلك؟

– نعم، هناك مرجعيات متعددة لمدينة القدس، ومن الصعب توحيد هذه المرجعيات لأن الفصائل والتنظيمات والأحزاب غير متوحدة أصلاً.

● هل للدور التركي أو الإسلامي دور في حماية المسجد الأقصى بعد أحداث «باب المغاربة» عام ٢٠٠٧م؟

– لم نلمس أي تأثير حقيقي على الاحتلال الصهيوني حتى يتوقف عن أعماله العدوانية بحق منطقة باب المغاربة وساحة البراق؛ حيث إنه مستمر في مخططاته التي تستهدف تغيير طابع المنطقة بأكملها.

● هل تؤيدون زيارة القدس والمسجد الأقصى من قِبَل شخصيات إسلامية عالمية في ظل الاحتلال، أم هو تطبيع مرفوض؟

– لستُ مع الذي يقول بمنع زيارة القدس مطلقاً، ولستُ أيضاً مع الذي يقول بفتح الباب لزيارة القدس على مصراعيه، وإنما أشير إلى الفئات التي يحق لها أن تزور القدس دون أي محظور، وهي على النحو الآتي:

- الفئة الأولى: الإخوة المواطنون في مناطق عام ١٩٤٨م، وهم الذين يحرصون على شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، ويعدون ذلك واجباً عليهم.

- الفئة الثانية: الإخوة الذين يحملون هوية القدس ويقيمون خارجها لظروف خاصة بهم، فإن الواجب عليهم أن يأتوا إلى القدس في الأجازات والعطل الصيفية والأعياد، وسواها من الأيام التي يستطيعون الحضور فيها.

– المسلمون الذين يحملون جنسيات أجنبية – أوروبية أو أمريكية – بغض النظر عن أصولهم، فإن زيارتهم للقدس لا تحمل في طياتها التطبيع لأن الدول التي يحملون جنسياتها تعترف بـ«إسرائيل» سلفاً، وسبق أن شجعنا هؤلاء المسلمين على زيارة القدس.

وما سوى ذلك، فإن زيارتهم للقدس تُعَدُّ تطبيعاً لأنهم مضطرون للحصول على تأشيرات من السفارة «الإسرائيلية»، والتطبيع مرفوض لأنه إقرار واعتراف علني بالاحتلال.

إن الحرص على القدس يكون بتوفير ميزانية مالية سنوياً، وذلك لدعم المؤسسات في مجالات الصحة والتعليم والإسكان وغيرها، وهذا هو الأسلوب العملي الناجح والناجع للمحافظة على القدس، ولتثبيت أهلها فيها.. أما فتح زيارة القدس على مصراعيها فلا ينقذ المدينة وإنما يكرِّس الاحتلال الصهيوني لها.

● ما تعريفكم للقدس، أهي المسجد الأقصى أم البلدة القديمة أم القدس الشرقية والغربية، في ظل إخضاعها للمفاوضات السياسية؟

– الذي يعنينا بالنسبة للقدس هو البلدة القديمة التي تضم المسجد الاقصى المبارك وكنيسة القيامة، كما تضم سائر المقدسات الإسلامية والمسيحية، أما القدس بمفهومها الشامل فإنها تضم القدس بشطرَيْها الشرقي والغربي.

● ما حقيقة زعم سلطات الاحتلال العثور على آثار يهودية في بلدة «سلوان» الحامية الجنوبية للمسجد الأقصى؟

– العديد من خبراء الآثار اليهود أعلنوا واعترفوا بأنهم لم يجدوا أي أثر له علاقة بالتاريخ اليهودي القديم، لا في «سلوان» ولا في البلدة القديمة من القدس أثناء الحفريات.

● ما رسالتكم إلى العالَمَيْن العربي والإسلامي، وإلى قيادة الشعب الفلسطيني في رام الله وغزة؟

– رسالتنا إلى العالَمَيْن العربي والإسلامي أن يتحملوا المسؤولية تجاه القدس والأقصى وسائر المقدسات، وأن يعملوا على إنهاء الاحتلال الصهيوني.. وأما بالنسبة للصراع القائم بين غزة ورام الله، فقد سبق أن دعونا إلى الحوار وإلى الوحدة، فإن الوحدة قوة.. وديننا الإسلامي العظيم يدعو المسلمين في أرجاء المعمورة إلى الوحدة، فمن باب أولى أن يتوحد الشعب الفلسطيني؛ حتى يتمكن من مواجهة الاحتلال الصهيوني.■

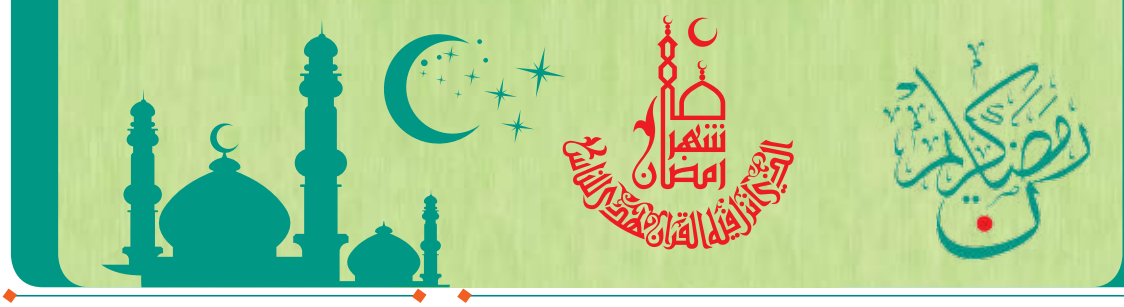

في ظل الحصار والبطالة وقلة الرواتب..

أهالي غزة يستقبلون رمضان بجيوب «فارغة»!

استقبل الفلسطينيون في قطاع غزة المحاصَر شهر رمضان المبارك بجيوب فارغة؛ نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعانون منها بسبب الحصار الصهيوني المتواصل منذ أربعة أعوام، والأزمة المالية التي تمر بها السلطة الفلسطينية في «رام الله» وعدم تمكنها من دفع رواتب موظفيها.. وقد انعكست الأوضاع الاقتصادية السيئة بشكل واضح على الحركة الشرائية في أسواق القطاع، وفق ما أكده العديد من التجار والباعة لـ«المجتمع».

غزة: زكريا المدهون

«طارق شاهين» - صاحب محل للمواد الغذائية والتموينية في مخيم الشاطئ للاجئين غرب مدينة غزة - اشتكى من قلة المشترين، رغم كثرة المعروض من مستلزمات شهر رمضان.. وأوضح أن الأوضاع الاقتصادية انعكست على قدرة المواطنين الشرائية، مشيراً إلى أن غالبية المواطنين يعتمدون على الشراء بالأجل لكنه يفكر في إيقافه بسبب سوء الوضع المادي للناس!

وقال: إن المواد الغذائية الرمضانية المتوافرة في أسواق القطاع يتم تهريبها عبر الأنفاق من مصر، مؤكداً أن سلطات الاحتلال تمنع دخول الكثير من السلع الغذائية الأساسية إلى القطاع المحاصَر.

البيع بالأجل لا يشجع التاجر على الاستمرار دون الحصول على أمواله المبعثرة هنا وهناك

من جانبه، عبّر المواطن الفلسطيني «عز الدين أبو عرب» (٥٠ عاماً) عن تذمره الكبير من الأوضاع المادية الصعبة التي يمر بها؛ بسبب عدم تلقيه راتبه من سلطة «رام الله».. وأوضح أنه يُعيل أسرة مكونة من سبعة أفراد؛ ثلاثة منهم طلبة جامعات، وأنه بات عاجزاً عن توفير قوت أسرته، ويعتمد على الاستدانة من الأصدقاء والباعة.

من جهته، اشتكى «أبو محمود البلعاوي» من عدم حصوله على فرصة عمل منذ سنوات بسبب الحصار الصهيوني؛ حيث كان يعمل في البناء داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م.. وتساءل: كيف ستقضي أسرتي شهر رمضان وجيوبي فارغ؟ مشيراً إلى أنه يعتمد على المساعدات الإنسانية المقدَّمة من أهل الخير، ومن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (أونروا) لإعالة أفراد أسرته المكوَّنة من ستة أفراد نصفهم من الأطفال.

بطالة وركود

الخبير الاقتصادي «عمر شعبان» قال لـ«المجتمع»: إن «ثلثَيْ سكان قطاع غزة (١,٥ مليون نسمة) يعيشون تحت خط الفقر، وهم بالتالي ليس لديهم إمكانية الوصول إلى الغذاء، ويعتمد ٨٠٪ منهم على المساعدات الإغاثية، لذا فهم خارج القوة الشرائية؛ حيث لا يملكون المال الكافي للشراء».

وأضاف: إن «حالة الركود في الأسواق لا تخفى على أحد، وهناك عدة أسباب لها، في مقدمتها عدم قدرة الحكومة في غزة أو الضفة الغربية على دفع الرواتب خلال الشهرين الماضيين، وقدوم شهر رمضان بما يفرضه من أنماط كبيرة على كاهل الأسر، ثم عيد الفطر وموسم المدارس».

وتابع قائلاً: إن «المواطنين ينظرون لهذه المناسبات بقلق لكثرة المتطلبات، لأن الأزمة المالية التي تمر بها السلطة ستتواصل، فهي لا تستطيع دفع المرتبات، الأمر الذي يدفع المواطنين إلى التقليل من النفقات والتحكم بمصروفاتهم».

وأشار إلى أن الأزمة المالية تؤثر على البائع والمشتري كليهما، فالبيع بالأجل لا يشجع التاجر على الاستمرار دون الحصول على أمواله المبعثرة هنا وهناك.■

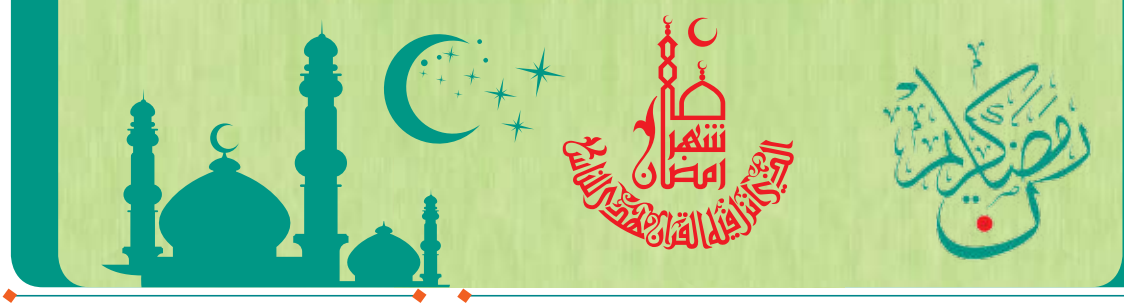

برامج دعوية وتثقيفية.. وأبواب دينية متخصصة

وسائل الإعلام الجزائرية تكيِّف أدواتها مع شهر الصيام

الجزائر: سمية سعادة

على غرار المسلمين في كل أرجاء المعمورة، يحرص الجزائريون على تهيئة قلوبهم للاستزادة من أعمال الخير والإحسان في رمضان.. كما تحاول مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية التكيُّف لنيل شرف خدمة المسلمين في شهر العبادة، وتعمل المؤسسات الإعلامية - بمختلف وسائطها المكتوبة والمرئية والمسموعة - على الاستجابة لمتطلبات الصائمين في هذا الشهر المبارك؛ حيث تخصّص القنوات الإذاعية برامج عديدة تركز على كل ما يهمُّ الصائم، ويستجيب لاهتماماته المختلفة، وتضيف لقائمة برامجها بعض الجرعات التثقيفية والدينية ذات العلاقة بالصيام.

ومن بين الدعاة المعروفين الذين دأبوا على خدمة الصائمين من خلال الإجابة على أسئلتهم الفقهية المختلفة، الشيخ «جعفر أولفقي» المعروف لدى الجزائريين باسم الشيخ «أبو عبدالسلام»؛ حيث يساهم بفعالية في تعريف الناس بشؤون دينهم ودنياهم من خلال الفتاوى التي يقدّمها للسائلين على مختلف الوسائط الإعلامية، من صحف وإذاعة وتلفزيون، إضافة إلى مساهماته الدعوية من خلال منابر بعض

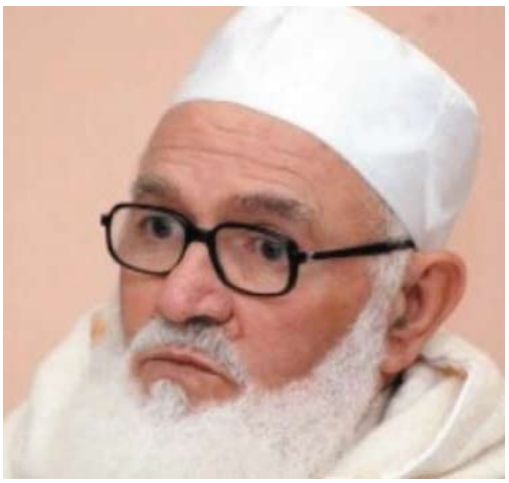

الشيخ «أبو عبدالسلام» من الدعاة الذين دأبوا على خدمة الصائمين بالإجابة على أسئلتهم الفقهية المختلفة

المساجد، والزيارات التي يقوم بها بناء على دعوات يتلقّاها من مختلف المحافظات الجزائرية للمساهمة في نشاطات ذات علاقة بالدعوة وشؤونها.

أنشطة عديدة

ويؤكد الشيخ «أبو عبدالسلام» أن أكثر ما يشغله في هذا الشهر الفضيل هو القرآن الكريم، موضحاً أن علاقته بالقرآن تبدأ من شهر شعبان تلاوةً وتفسيراً وتدريساً، إضافة إلى التركيز على كتب الحديث والفقه.

ويشير إلى أن أيامه ولياليه في هذا الشهر الكريم حافلة بالنشاطات العديدة؛ من خلال الاستجابة للدعوات التي يتم توجيهها، ويقول: «أحاول المساهمة في الأنشطة الثقافية بالمساجد ودور الشباب في مختلف الولايات؛ استجابة للدعوات التي أتلقّاها، والتي أحاول تلبيتها بحسب القدرة والاستطاعة».

وعن نسبة الاستفتاء في شهر رمضان، مقارنة ببقية شهور العام، أوضح الشيخ «أبو عبدالسلام» أن الجزائريين يستفتون العلماء في شؤون دينهم ودنياهم في رمضان بالكيفية نفسها في غيره من الشهور.. لكنه قال: إن «ما يشغل الجزائريين في هذا الشهر الكريم، وربما هذا ما يشكّل الخصوصية، هو تركيزهم - من خلال الفتاوى التي يطلبونها - على بعض السلوكيات، ومدى إباحتها من عدمه، وهناك الكثير من الأسئلة التي نتلقّاها تتعلق بقضاء الصيام بالنسبة للمصابين ببعض الأمراض المزمنة، إضافة إلى أسئلة حول الصوم بالنسبة للنساء الحوامل والمرضعات».

أبواب وبرامج

ومن التقاليد التي دأبت عليها الصحف الجزائرية في شهر الصيام تكييف أبوابها وبعض صفحاتها مع خصوصية رمضان التعبّدية على خلاف غيره من الشهور.

ومن الأبواب الخاصة التي تستحدثها الصحف اليومية في هذا الشهر المبارك باب «الفتاوى الرمضانية»، ويُشرف عليها دعاة وأساتذة في العلوم الشرعية، يركزون فيها على استقبال أسئلة الصائمين، والإجابة على ما أشكل عليهم في أمور دينهم ودنياهم.

كما دأبت الصحف على نشر بعض أخبار سير السلف الصالح في هذا الشهر الكريم؛ لتقوية إيمان الصائمين، وحثهم على الاقتداء بهم، والسير على نهجهم.

أما محطات الإذاعة والتلفزيون، فعادة ما تستحدث برامج تنحو المنحى نفسه، وتصبُّ جُلَّ اهتمامها في سبيل خدمة الصائمين، تسهيلاً لهم ليعبدوا الله على بيِّنة من أمرهم.■

رمضان وحسن قيادة الذات

بقلم: الشيخ يوسف السند

إن حسن قيادة الذات ربحية صحيحة بعيدة عن:

١- الشيطان.

٢- النفس الأمارة بالسوء.

٣- الهوى.

فالصائم يسخر طاقاته وقدراته لمرضاة ربه سبحانه وتعالى، والصائم أحسن قيادة ذاته، وحقق نجاحاً باهراً وأفضل سبيل للتخطيط الناجح هو الإحسان:

١- ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ (آل عمران).

٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)﴾(النحل).

٣- ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾(الأعراف).

٤- ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾ (الحج).

وهذا متحقق للصائم في رمضان فهو قد أرغم شيطانه وجاهد نفسه وهواه.

والإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فالصائم قد أحسن قيادة ذاته في المجالات التالية:

١- أثناء الصيام في النهار والعبادة في الليل.

٢ - حال تلاوته للقرآن الكريم.

٣ - أثناء الصدقة والإحسان للمحتاجين.

٤ - أثناء التراويح وقيام الليل.

٥ - وهو يملك لسانه ليلاً ونهاراً.

٦- وهو معتكف في المسجد، ومستمعٌ للعلم النافع.

٧- وهو يتواصل مع أهله وأرحامه وجيرانه.

٨- وهو يغض بصره ويحفظ نفسه.

٩- وهو يبادر للخيرات.

١٠- وهو يزهد بالدنيا ويقنص فرص الآخرة، ولسان حاله يقول:

بادر الفرصة واحذر فوتها
فبلوغ العز في نيل الفرص
واغتنم عمرك إبان الصبا
فهو إن زاد مع الشيب نقص
إنما الدنيا خيال عارض
قلما يبقى، وأخبار تقص
فابتدر مسعاك واعلم أن من
بادر الصيد مع الفجر قنص

قال ابن القيم - يرحمه الله - عن الإحسان: «وهذه المنزلة هي لب الإيمان وروحه وكماله، وهي جامعة لما عداها من المنازل..».

اللهم اهدنا وسددنا، وألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا، وارزقنا الإحسان يا ذا الجلال والإكرام.

والحمد لله رب العالمين.■

خواطر داعية

أنا المخمور الأخير (٢-٢)

بقلم: عبد الحميد البلالي
al-belali@ hotmail.com

بعد أن أنهى الشيخ «نعمة الله» حديثه الإيماني للمخمورين في المرقص الذي زاره في ألمانيا، و بدؤوا يبكون ندماً وتفاعلاً مع هذا الحديث الذي لم يستمعوا إلى مثله من قبل، تعاهدوا معه على التوبة النصوح، وطلب منهم أن يرافقوه إلى المسجد القريب من المرقص ليصلوا، برهاناً على توبتهم الصادقة.. وبدؤوا يخرجون من المرقص طابوراً يتكئ بعضهم على بعض بصحبة بعض الدعاة الذين كانوا يرافقون الشيخ، إلا واحداً منهم كان ثملاً إلى درجة عدم القدرة على المشي، فنزل الشيخ من منصة المسرح واتجه إليه مع أحد الدعاة وأسنده إليه على كتفه، وأخذه إلى المسجد، فوضأه أولاً، ثم أدخله إلى المسجد، وصلى ركعتين، في منظر عجيب.. ومضت الأيام على هذه الحادثة، وفي إحدى السنوات كان الشيخ «نعمة الله» في زيارة إلى المدينة المنورة شرفها الله .. وإذا برجل يتقدم نحوه، ويقبل رأسه ويقول له: يا شيخ ألا تذكرني، فيرد الشيخ بالنفي، فيقول له الرجل: أنا المخمور الأخير .. هكذا هي دعوة الله تعالى في الكلمة الطيبة، فهي كما قال في كتابه الكريم كالشجرة الطيبة أصلها ثابت في الأرض وفروعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.. هذا الأكل يراه الداعية أحياناً في حياته منة من الله تعالى، وتحفيزاً له ليستمر في دعوته بقوة وثبات، وأحياناً أخرى لا يرى الداعية ذلك الأكل، وربما يظهر بعد وفاته، أو لا يراه إلا يوم القيامة في كتابه الذي يعطاه في يمينه يتلألأ نوراً، وجبالاً من الأجر، بسبب كلمة أو كلمات أو خطبة أو خطب، أو عمل أو أعمال خير كان يريد بها وجه الله، فنماها الله تعالى لصاحبها، وأنتجت ثماراً يانعة وآتت أكلها أجيالاً بعد أجيال، وكانت كالصدقة الجارية، التي تستمر بضخ الحسنات إلى صاحبها حتى بعد وفاته، إنها بركة الدعوة إلى الله، وإنه الاجتباء والاصطفاء الإلهي لبعض من يحبهم الله من خلقه، فيجعل منهم دعاة إليه ورثة الأنبياء، والداعين الناس إلى ربهم وعبادته.■

جـوائز الصائمـين

بقلم: الشيخ أحمد القطان

تناولنا في العدد الماضي الحديث عن أهم ثمرة من ثمرات الصيام وهي التقوى.. وسردنا بعضاً مما أعده الله سبحانه وتعالى للمتقين في الدنيا والآخرة، وفي هذا العدد نستكمل الحديث عن فوائد الصيام وجوائز الصائمين.

الصيام جنة ووقاية من النار

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

المسلم يتذكر بجوعه وظمئه إخوانه المسلمين الذين يموتون جوعاً وعطشاً بسبب الجفاف

تهذيب الأخلاق

ومما أعطي للصائم؛ أنه إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه، والصيام يهذب أخلاق الصائم فيكف لسانه، وهذا نوع من الصيام، يقول الله عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾(مريم)، فاللسان يصوم والسمع والبصر يصوم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)﴾(الإسراء).

وفي رمضان دعاء مستجاب، عند الإفطار دعوة مستجابة، فلا تفوته كل يوم: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»، وإذا أراد الصائم أن يدعو فلينتقِ جوامع الدعاء.

أدعية مستحبة

مثلاً: اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم.

اللهم إني أسألك بوجهك.. الفردوس الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا واصرف عنا برحمتك شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك.

يقظة إيمانية

والصيام والقيام والسحور والإفطار تدريب للعبد على اليقظة الإيمانية التي تتجه من مصارع الغفلات، شهر كامل يتدرب عليها فيرتقي بها إلى أعلى مقام في الإنسانية.

والعبد المسلم الصائم القائم يفعل ذلك إيماناً واحتساباً، وليس عادةً وتقليداً.. إيماناً واحتساباً.. طلباً لثواب الله وجنته، هكذا كل ليلة يعقد النية أنه يصوم غداً من رمضان إيماناً واحتساباً.

تذكر الجوعى

والمسلم يتذكر بجوعه وظمئه إخوانه المسلمين، حيث تنقل لنا الفضائيات مجاعات بالصومال والأطفال يموتون، فلابد أن يذكرنا الصيام فنتصدق وننفق.. هناك الآن شعوب تنزح من أوطانها وتهاجر، بسبب الجبابرة الذين يقتلون شعوبهم، فكيف سيصوم هؤلاء الناس وهم في هذه الهجرة؟ إخوانهم الصائمين يذكرونهم ويقدمون لهم العون في هذا الشهر الفضيل، ويجيرونهم ويدعون لهم.

في هذا الشهر تكثر العبادات وليتدرب الإنسان على هذه الكثرة، منها صلاة التراويح والتهجد والقيام ومنها سنة الضحى والشفع والوتر، وليحرص الصائم على صلاة الجماعة بالمسجد وحضور الدروس والمواعظ، ويحرص أيضاً على لزوم ذكر الله «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله» الفرق بين من يذكر ربه ومن لا يذكر ربه كالفرق بين الحي والميت.

وفي هذا الشهر العظيم ليلة خير من ألف شهر، وعشر أواخر كان عليه الصلاة والسلام يشد فيها مئزره ويوقظ أهله، ويحيي ليله، وكان يعتكف.. عبادات عظيمة في هذا الشهر.. ودعاء ليلة القدر: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا»، فإذا أردت أن يعفو الله عنك فاعفُ عن عباده.. يغفر لك.

فهكذا نخرج من شهر رمضان ونحن نقول: يا رب إن كنت قد فرضت علينا هذا الشهر؛ فنحن في غاية السرور لا نشبع منه.. ولهذا نصوم بعده متطوعين الستة من شوال؛ حتى نبرهن لك أننا نحب فريضة الصيام.■

رمضان في مرآة طفولتي

بقلم: د. جابر قميحة (*)

من منا سأل نفسه عن مفهوم الحياة، أو المقصود بها؟ هل هي عدد من المواقف والأعمال؟ أم إنها عدد من السنين؟ أم هي عدد من المشاعر المتباينة التي يحس بها الإنسان، أو تهيمن على نفسيته؟ الحقيقة أن نسيج الحياة تصنعه مجموعة متضافرة من كل أولئك: فالإنسان بأعماله ومواقفه له وجوده الحسي والمعنوي في حيز من الزمان والمكان، يعمل عقله مفكراً، ويتفاعل مع متقلبات من المشاعر والأحاسيس.

ويعيش الإنسان حياته ابتداء من الميلاد والطفولة، وانتهاء بالشيخوخة والهرم، وبينهما مرحلة الشباب والكهولة، ولكن يبقى هذا التقسيم صناعياً؛ لأن كل مرحلة تؤدي إلى التي تليها بالتدريج، دون شعور بنقلة أو تحول مفاجئ، والحياة كالنهر، إن كان له منابع ومجري ومصب، فإن أوله موصول بآخره، وأول نقطة منه موصولة بآخر النقاط.

ولا خلاف في أن مرحلة الطفولة تمثل - في حياة الإنسان - سنوات البراءة، والعفوية، والإحساس التلقائي بالجمال، ولذلك كانت استعادة أيام هذه الفترة ذهنياً مجلبة لراحة النفس والشعور.

وكثيراً ما أحمل روحي وعقلي إلى معايشة تلك المرحلة البريئة النقية في المناسبات المختلفة، وأقوم بعمل موازنة ذهنية بين مظاهر المناسبة حالياً، ومظاهرها أيام الطفولة، كالأعياد والمواسم، فأتأمل مثلاً مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي حالياً، والاحتفال به أيام زمان، أي أيام الطفولة، والنظر إلى «الفروق» على مدي عشرات السنين، عملية ممتعة للأديب، ومادة خصيبة للدارسين.

مقدمات رمضان

وفي مدينة «المنزلة» - بشمال دلتا النيل، وهي مسقط رأسي، وكانت مركزاً لعدد من القري حولها - عشت سني طفولتي، ومنها أقدم ملامح من صورة «رمضان» من سبعين عاماً، لتكون الرؤية ميدانية حقيقية.

ومقدمات رمضان كنا نراها في النصف الثاني من شعبان في عدد من المظاهر منها: قيام محلات بيع الحلوي ببناء أفران الكنافة أمام المحلات في الشارع، وفرن الكنافة بناء دائري من الطين تثبت في أعلاه «صينية» واسعة، يوضع تحتها وقود، ويقوم العامل بصبّ عجينة الكنافة عليها، من إناء ذي ثقوب لتتحول العجينة إلى الكنافة بشكلها المعروف.

كما تعرض محلات «البقالة» الياميش من جوز ولوز وبندق، وكذلك لفات قمر الدين، والعجمية، وللعرض تشغل بعض المحلات الكبيرة مساحة من الشارع أو الرصيف.

وتبدأ محلات «السمكرية» في صناعة فوانيس الأطفال، وكانت صناعة يدوية بدائية، ويسرج الفانوس بشمعة، فالبطاريات لم تكن قد عرفت آنذاك.

وقبل رمضان بيومين أو ثلاثة نشاهد «زف العجول» فنرى كل جزار في المنزلة يخرج بعجله، وقد زيّنه بالورد وأوراق الشجر الأخضر، وعلق في عنقه بعض الأجراس وخلفه ثلة من الأطفال وهو يهتف: «علف المكاوي .. علف المكاوي، علف عنين يا ولاد.. علف عنين يا ولاد»، والأطفال يرددون ما يقول، و«مكاوي وعنين» من أشهر جزاري المنزلة.

فقد كان من عادة أهل المنزلة أن يأكلوا اللحم في أول أيام رمضان .

الخزين.. والخبيز الكبير

وتقوم كل أسرة بمضاعفة «خزينها» في الأيام الأخيرة من شعبان، والخزين «اصطلاح» يعني «المواد الخام» التي يصنع منها الطعام والحلوي، مثل: الأرز، والسكر، والشاي، والدقيق، والمكرونة.

وتخزين ضعف الكمية التي كانت تشتري في الشهور العادية يرجع إلى سببين:

الأول: حرص رب البيت على التوسعة على أهله، وكثرة الضيوف في هذا الشهر.

والثاني: توفير الجهد الذي يبذل في الشراء والتسوق، فالشهر هو شهر التفرغ للصيام والقيام والاسترخاء كذلك.

وفي الأيام الأخيرة من شعبان، تصنع البيوت «خبيز رمضان»، وتضاعف كمية المخبوز من الخبز، وهو ما يسمي في أوساط الناس: «عيش»، حتى يكفي الخبز لطعام الشهر كله، والزيادة - أو المضاعفة - للسببين اللذين ذكرتهما آنفاً.

(*) أديب ومفكر إسلامي - مصر

وكان هذا الخبز يخبز في البيوت، ففي كل بيت فرن «للخبيز»، إما في الدور الأرضي، وإما فوق سطح البيت.

ومن المظاهر الطيبة أن الجارات كن يساعدن ربة البيت في إنجاز هذه «المهمة الثقيلة». ثم تقوم ربة البيت بإهداء «رصات» من الخبز الطري، ويسمونه «العيش الحنيِّن» للائي شاركن في الإنجاز.

ويعرض الخبز بعد ذلك - يوماً أو يومين - في الهواء حتى يجف قبل تخزينه في «الصحّارة»، وهي صندوق خشبي ضخم يرص فيه الخبز بطريقة فنية، وكل «العيش» المخزون يكون منتفخاً، ويقولون عنه «عيش آبب»، أو «مقرمش»، وربما «آبب» أصلها «قابب» من القبة، وتجفيف العيش قبل خزنه حتى لا يصيبه العفن.

صلة الرحم والتواصل الاجتماعي

ويدعو رب البيت بناته وأزواجهن وأولادهن لتناول الإفطار أول يوم في رمضان، ويهدي في الأسبوع الثاني من الشهر كل بنت من بناته المتزوجات صواني رمضان، من كنافة، وجلاش، ومكرونة «حلوة» وغيرها، وتقوم المهدي إليها بإهداء جاراتها بعض ما رزقت، وبقدر عدد الصواني يحكم على الأب بالكرم أو البخل.

و«السهرات» من أهم مظاهر التواصل الاجتماعي، فقد كان الأثرياء من أهل البلد يحيون رمضان بفتح بيوتهم للناس يقصدونها بعد صلاة التراويح لسماع القرآن من قارئ مشهور على مستوى البلد، وأذكر من هؤلاء القراء الشيوخ نصر الدين طوبار، وفهمي الطرامّسي، وأحمد السحيلي، وهم جميعاً الآن بين يدي الله.

وتستمر السهرة التي يحييها «الصييت» - أي قارئ القرآن جميل الصوت - إلى ساعة السحور، أي ما بعد منتصف الليل، مع تقديم المشروبات للحاضرين، وأهمها القرفة والشاي.

المسحراتي

وهو أهم ظاهرة رمضانية، والمسحراتي رجل يدور على البيوت بعد منتصف الليل، يحمل «البازة» في يده اليسرى، وهي في حجم نصف الطبلة العادية، يدق عليها «بسير» قصير من الجلد، وهو «يسحّر» أي يقف أمام كل بيت، ويردد عبارات دينية قصيرة يفصل بين كل عبارة بعدة دقات، ثم يبدأ في إيقاظ رجال الأسرة واحداً واحداً بادئاً برب الأسرة «قم يا فلان وحد الله.. تم تم تم»، وهكذا.

وكان لكل مسحراتي منطقة لا يجور عليها زميله، وفي يوم العيد يمرّ المسحراتي بخرج «على حمار» أو «مقاطف» على عربة كارو «لجمع» مقابل التسحير من كعك، وحلوي، ونقود.

من أغاني الأطفال

ولم تكن أغنية «وحوي» شائعة في تلك الأيام، ولكنني أذكر أننا ونحن أطفال كنا نحمل فوانيسنا بعد الإفطار، وندور على البيوت ونطرقها، فإذا خرجت ربة البيت هتف أحدنا:

«لُولا الدارِّدي ما جينا
فيرد الأطفال: يا حُولها
ولا جينا ولا حفينا
فيردد الأطفال: يا حولها»

وترجمة هذه الكلمات: «لولا هذه الدار وأهلها ما جئنا، ولا أتعبنا أقدامنا» فيخرج لهم أهل البيت قطع الحلوى والكنافة .

وكان الأطفال ينتظرون أذان المغرب أمام المسجد، فإذا أذن عادوا إلى بيوتهم وهم ينشدون:

يا صايم رمضان.. كل وبحّتر
وخلّ الباقي.. للمسحّر

والترجمة: أيها الصائم أفطر.. وكل ووسّع على غيرك « بحتر.. أي بعثِر » ، وما تبقي منك اجعله للمسحراتي.

وكان الأطفال إذا رأوا مفطراً في رمضان غير ملتزم بأمر الله، أنشدوا بحدة في وجهه:

يا فاطر رمضان .. يا خاسر دينك
كلبتنا السودة .. تاكل مصارينك

إنها رؤية ميدانية لبعض ملامح رمضان من خمسة وستين عاماً في بلدتي «المنزلة» بشمال دلتا النيل، نقلتها بأمانة وصدق.

كانت أياماً طيبة، بريئة مباركة جميلة، ألستم معي في أن معايشتها بالروح، والشعور من جديد يحقق فينا كثيراً من المتعة والطمأنينة والسلام النفسي؟■

كانت أياماً طيبة جميلة.. واسترجاع ذكرياتها يحقق لنا كثيراً من المتعة والراحة النفسية

الصائم بين جناحَيْ: «العلم والعمل» (٢)

لندن: د. أحمد عيسى

جناحان لا يستغني عنهما الصائم ولا يستطيع أن يطير إلا بهما معاً.. ألا ترى أنه عَلِم فريضة الصيام، فعمل بما علم.. وصام، وعلم عظم أجر القيام .. فقام، وبالجناحين يستقيم التحليق إلى الصراط المستقيم بعيداً عن «المغضوب عليهم» الذين علموا فلم يعملوا، «والضالين» الذين عملوا بلا علم. قال أبو عبدالرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً» (الطبري). ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (التوبة:٣٣)، فالهدى هو: العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح. وهكذا قالت الجن: «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» في الاعتقادات، «وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ» أي: في العمليات» (ابن كثير).

يقول ابن القيم في مدارج السالكين: «والعلم تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم وورثتهم، وهو حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياضة العقول ولذة الأرواح وأنس الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد والهدى والضلال»، «به يعرف الله ويُعبَد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد.. وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام..».

حينما يطير الطائر ويسبح في الفضاء ويقترب من حياة الناس وشوارعهم ومبانيهم وأسواقهم.. يجد عزوفاً عن العلم والقراءة إلا من رحم الله؛ لأسباب كثيرة منها تقلص بركة الوقت بالانشغال بأسباب الرزق لانتشار الفقر، أو لطمع الغنى، أو بالانشغال بألوان اللغو واللهو والباطل بما يسفح دم الأوقات!

ملاءمة كل حال

ومع اختلاف درجات أحوال النفس؛ فالعلم هنالك يلائم كل حال «فهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة..»، «مذاكرته تسبيح، ومدارسته تعدل الصيام والقيام والحاجة إليه أعظم منها إلى الطعام والشراب».

لعل الصائم يتذكر وهو يتلو القرآن في شهر القرآن أن الله ما أمر رسوله أن يسأله المزيد من شيء في الدنيا إلا في العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)﴾(طه).

ويرحل بفكره إلى قرون سابقة ومسافات بعيدة، وكأنه يرى من بعيد رحيل كليم الرحمن موسى عليه السلام في طلب العلم هو وفتاه، حتى مسهما النصب في سفرهما، ولم يظفر إلا بثلاث مسائل فقط، وهو من أكرم الخلق على الله وأعلمهم به.

طلب العلم

وفعل مثله فقهاء الأمة ومحدثوها حين طافوا البلاد في سبيل الله والعلم به، وتحري نقله وإثباته.. ومنهم البخاري يرحمه الله الذي بوّب «باب العلم قبل القول والعمل»، وقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩)، فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ (فاطر) ، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ (العنكبوت)، وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾ (الملك)، وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٩)﴾ (الزمر)، وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وإنما العلم بالتعلم، وقال ابن عباس: كونوا ربانيين حكماء فقهاء. ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

اقتران الإيمان بالعمل

ولا يزال الله سبحانه يقرن الإيمان بالعمل الصالح في آيات عدة، والآيات والأحاديث تقرن الإيمان بالاستقامة.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾(النساء).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥)﴾(النساء).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠)﴾(الكهف)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾(فصلت).

وعن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك «قال أبو

العلم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياضة العقول ولذة الأرواح

به يُعرف الله ويُعبَد ويذكر ويوحد.. وتُعرف الشرائع والأحكام ويتميز الحلال من الحرام

معاوية: بعدك»؟ قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (رواه أحمد).

بصيرة نافذة

وكان الصحابة لا يتعدون الآيات حتى يعملوا بها، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن». واختص الله سبحانه الصحابة عن سائر الأمة بخاصية البصيرة وهي التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهي أعلى درجات العلماء، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾(يوسف)، وفيها معنيان:

الأول: أي أنا، وأتباعي على بصيرة.

والثاني: أنا أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرة.

رفعة وعلو

يستطيع جناح العلم أن يرفع صاحبه ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾(المجادلة). ولكن لمداومة التحليق وبلوغ المراد فلا بد من جناح العمل، الذي إذا انسلخ من جسد الطائر، وقع في الهاوية ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥)﴾(الأعراف)، قال ابن مسعود وابن عباس: هو بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام كان في مجلسه ثنتا عشرة ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه.

قال مالك بن دينار: بعث إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان فأعطاه وأقطعه؛ فاتبع دينه وترك دين موسى (القرطبي).

وفي تفسير الجلالين: خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها، سئل أن يدعو على موسى وأُهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره «فأتبعه الشيطان» فأدركه فصار قرينه.

لذا قال بعض الحكماء: «من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذاباً من أقبل عليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به».

المحاسبة على العلم

وسيُسأل المرء عن علمه ماذا عمل به؟ كما في حديث رسول الله ﷺ: «لن تزولا قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» (رواه الترمذي – حديث حسن صحيح).

وقال أبو الدرداء: «ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، ويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات».

وروى الإمام ابن عبد البر في جامع العلم وفضله عن الشعبي أنه قال: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين على طلبه بالصوم».

وفي تفسير: «فنبذوه وراء ظهورهم»، أي تركوا العمل به.

وإذا جمع الإنسان أقوالاً بلا أعمال كان كطائر أعرج ذي جناح واحد مقصوص.. نبذته طيور السماء إلى العيش في الوحل.. قال بعض الحكماء: «إذا كانت حياتي حياة السفيه، وموتي موت الجاهل، فما يغني عني ما جمعت من غرائب الحكمة»!

وحين يتم العلم والعمل يحلق الطائر بعيداً عن الدنيا.

قال الثوري: «العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغلوا، فإذا شُغلوا فُقدوا، فإذا فُقدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هربوا»؛ أي الهرب عن الدنيا وليس على طلبها.. ليرتفع إلى درجة التقوى التي هي مقصد الصيام.. قال أبو الدرداء: «لا تكون تقياً حتى تكون عالماً..»، ومنه أخذ القائل قوله: كيف يقال: متقٍ، ولا يدري ما يتقي؟!■

معركة العاشر من رمضان.. فارق بين عهدين (١من٣)

د. محمد بن موسى الشريف (*)

إن معركة العاشر من رمضان فارق بين زمنين، وبرزخ بين عهدين، ومنعطف بين طريقين: زمن الذل وزمن العزة، عهد الضياع وعهد العثور على الهُوية، طريق الاعتماد على الطاغوت وطريق التوكل على الله تعالى.

ثم إن معركة العاشر من رمضان يبدأ بها تأريخ حدث خطير جداً ومهم جداً في تاريخنا المعاصر ألا وهو ظهور الصحوة الإسلامية واشتداد عودها، ولهذا حديث جليل آخر لا متسع له هاهنا.

أهم معاركنا مع اليهود في التاريخ الحديث وستبقى ملهمة للأمة لبلوغ النصر التام على إخوان القردة

كثير من شبابنا اليوم لديه يأس من إمكان النصر على الأعداء.. واسترجاع وقائع المعركة تعيد إليهم الأمل

إن الذي يدعوني لذكر معركة العاشر من رمضان عدة أمور، منها غير ما سبق آنفاً:

١- أهمية المعركة في سياق أحداث العصر، بل أرى - والله تعالى أعلم - أنها أهم معركة وقعت بيننا وبين اليهود في التاريخ الحديث من حيث وقائعها، ومن حيث توقيتها، ومن حيث نتائجها، وستبقى المعركة - إن شاء الله تعالى - خالدة في ذاكرة الأمة ملهمة إياها لبلوغ النصر التام في معركتنا مع إخوان القردة.

٢- هذه المعركة لا يكاد يعلم عنها شباب الأمة في هذا الوقت إلا النزر اليسير بل إن كثيراً منهم لم يسمع بها قط.. خاصة ممن لم يدرك المعركة، وولد بعدها بزمن قصير أو طويل، وهذا عرفته أثناء حديثي عن هذه المعركة في المنتديات والمجامع والمدارس والجامعات، فهذه المعركة ساقطة من ذاكرة الكثيرين، وهذا أعدّه من الخلل المنهجي والثقافي في واقعنا المعاصر، ولابد من علاجه؛ لأن المعركة - وقائع ونتائج - تُعد من أهم ما يمكن الاستفادة منه في العصر الحديث من الوقائع الحربية بيننا وبين اليهود، وهي مليئة بالعبر والعظات.

٣ - كثير من شبابنا اليوم تعتريه حالات يأس وقنوط من إمكان النصر على الأعداء، فأردت أن أبين لهم أننا قادرون على إحداث التغيير في أي وقت - بعون الله تعالى ومشيئته - والدليل على ذلك ما جرى في حرب رمضان، ولذلك سأسوق لهم من أحداث المعركة - إن شاء الله تعالى - ما يعظم به أملهم وتشتد به عزيمتهم، وينفي عنهم التشاؤم والوهن.

٤ - هذه المعركة ينظر إليها بعض مفكرينا ومثقفينا نظر الارتياب والشك، وأنها حرب تحريك وليست حرب تحرير، ويريدون بالتحريك ما جرى بعدها من مفاوضات السلام المشؤومة مع اليهود، بل يذهب بعض المفكرين والمثقفين أننا هُزمنا في العاشر من رمضان!! وهذا غلو في التفكير والنظر أحببت أن أنفيه في هذه السطور، هذا وليُعلم أني لا أريد الحديث عما جرى بعد المعركة بسنوات من الصلح مع أعداء الله فلهذا حديث آخر ليس هذا مجاله وإن كان متعلقاً نوعاً ما بهذه المعركة الجليلة.

٥ - والسبب الأهم الذي دعاني للحديث عن تلك المعركة، هو أن معركتنا مع اليهود لازالت قائمة على قدم وساق، ولم تتوقف أبداً بنهاية تلك المعركة، ولن تتوقف إلا بالحادث العظيم الذي تنبأ به النبي الأعظم ﷺ «لتقاتلن اليهود حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبدالله ورائي يهودي تعال فاقتله»، وهناك شبه اتفاق بين كثير من المفكرين والمحللين المدنيين والعسكريين على أن هناك معركة قريبة بيننا وبين اليهود تلوح نذرها في الأفق، فكان من المهم أن نبقي في ذاكرة المسلمين أحداث نصر رمضان عام ١٣٩٣هـ، أكتوبر ١٩٧٣م؛ حتى تصبح ملهمة لهم ومبشرة في معركتنا القادمة، وليعلموا أن الله - تعالى - إذا أراد أمراً هيأ أسبابه، وإذا قدر شيئاً أمضاه مهما استبعده البشر، وحكموا بصعوبة حدوثه، فقد كانت كل القوى العسكرية العالمية والعربية تحكم بعدم قدرة العرب والمسلمين على هزيمة اليهود في معركة عسكرية أبداً فإذا بهم يفاجؤون بمعركة رمضان التي قلبت كل الموازين.

ونحن اليوم نعيش فرحة كبيرة بالتغيير الذي جرى ويجري في بعض البلاد العربية، وهو مقدمة لتغيير أكبر وأعظم نخلص به، ومنه إلى انتصار على اليهود والصلاة في بيت المقدس إن شاء الله تعالى.

العرب والمسلمون قبل المعركة

● الناحية العسكرية:

كان هنالك شعور سائد بأن جيش الصهاينة لا يُقهر، وأننا لن نستطيع أن نهزمهم في معركة أبداً، وقد كان هذا نتيجة حرب ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م المشؤومة التي سماها الإعلام الناصري الخبيث

(*) داعية سعودي - المشرف على موقع التاريخ

نكسة تخفيفاً لوقعها وتقليلاً من نتائجها، وقد كانت من أشد نكبات الدهر وقائع ونتائج، لكنها كانت ممهدة لزوال السيطرة العسكرية والثقافية للقوى الناصرية والماركسية والقومية والعروبية للأبد ولله الحمد، ولهذا حديث آخر إن شاء الله تعالى.

قال اللواء أركان حرب «جمال الدين محفوظ» فيما نقلته عنه مجلة «الأزهر» في عددها التاسع من سنتها الثانية والستين في رمضان عام ١٤١٠هـ، أبريل١٩٩٠م:

«لقد كانت الروح المعنوية في حالة تدهور شديد؛ لما أحدثته الهزيمة من ضغوط نفسية هائلة على القوات المسلحة والشعب معاً، فقد انتابت الجميعَ صورٌ شتى من الضغط النفسي الذي نشأ في داخلهم وفيما بينهم كالشعور بالإحباط والحزن ولوم النفس والغير، وتبادل الاتهامات، إلى غير ذلك من أساليب التدمير الذاتي التي كانت أخطر عقبة في سبيل إعادة البناء حتى لقد قدر أكثر المتفائلين أننا لن نفيق من تلك الحالة قبل عشر سنوات إن لم يكن أكثر».

حرب نفسية

ثم قال اللواء: «وبالإضافة إلى هذه الضغوط النابعة من الداخل كانت هناك الضغوط الخارجية المتمثلة في حملات الدعاية، والحرب النفسية الضارية التي تستهدف توجيه ضربة قاضية إلى روح المقاومة والصمود وإرادة القتال من خلال ما يلي:

١- تعميق الشعور بالإحباط وفقد الثقة بالنفس والسلاح والقادة والقيادة.

٢- إحداث الفُرقة بين الشعب وقواته المسلحة.

٣- غرس الإحساس بالتدني والعجز وتنمية عقدة النقص في مواجهة التفوق التقني «التكنولوجي» للعدو ومصادر إمداده بالسلاح والمعدات.

٤- ترسيخ الاعتقاد بأننا نواجه عدواً لا يُقهر، وأذكر أن جنوداً فتحوا عيونهم ذات صباح على لوحات قد غرست على الضفة الشرقية لقناة السويس تقول: «إذا كنت تسأل عن أسباب الهزيمة فاتصل برقم ٦٧٥٦٤٨ والرقم يبدو لأول وهلة كرقم هاتف لكن سرعان ما يتضح أنه يتألف من سنوات المعارك ٤٨-٥٦-٦٧ أي أنه يقول للمقاتل المصري - وهو في أشد حالات المعاناة النفسية - لماذا تسأل عن أسباب الهزيمة هذه المرة وأنت دائماً مهزوم؟ إن تاريخك كله هزائم؛ فقد هُزمت من قبل في ٤٨ وفي ٥٦ فلماذا تسأل عن سبب هزيمتك في ٦٧؟ إنك أنت رجل الهزائم!! لقد كان ذلك مثالاً لحملات الحرب النفسية الضارية لتغذية أحاسيس التدمير الذاتي للإجهاز التام على إرادة القتال»

عوائق وموانع

ثم قال اللواء: «ثم كانت هناك التحصينات والعوائق والموانع التي أقيمت على الضفة الشرقية للقناة، وعلى رأسها الساتر الترابي وخط بارليف وقاذفات اللهب، الأمر الذي جعل أكثر الخبراء تفاؤلاً يُقدرون أن العبور واقتحام تلك الموانع سوف يكلفنا عشرات الألوف من الخسائر في الأرواح فلابد أن لذلك أثره على الروح المعنوية لمن يستعدون للمعركة المقبلة».

وقد كان هناك شعور عام طاغ على اليهود بعد حرب النكبة بالتفوق على سائر العرب، وأنهم هم القوة التي لا تُقهر، وللدلالة على ذلك أسوق قولاً للهالك «موشي ديان»، وزير الدفاع في الدولة المسخ والكيان الغاصب، قاله بعد النكبة بخمسة أيام في صحيفة «هاآرتس» اليهودية في ١٢يونيو عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ: «إنها الحرب التي أنهت كل الحروب، ولم يبق

معركتنا مع اليهود لا زالت قائمة ولن تتوقف إلا بالحرب الكبرى الذي تنبأ بها النبي ﷺ

التغيير الذي جرى في بعض البلاد العربية مقدمة لتغيير أكبر يمهد لانتصارنا على اليهود والصلاة في بيت المقدس إن شاء الله تعالى

أمام العرب إلا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة سيما وهم يعرفون رقم الهاتف!!».

وقال الرئيس المصري «السادات»، موضحاً مدى عِظَم القدرات اليهودية: «لقد كان عبور القناة واجتياح حصون خط بارليف يعتبر ضرباً من المستحيل، وقد زارنا عدد من القادة وقال لنا بعضهم: إن هذا المانع وتلك الحصون تحتاج إلى قنبلة ذرية للتغلب عليها».

● الناحية الدينية والاجتماعية:

وفي المقابل لهذا كله، تجد أن الإسلام وأهله - منذ النكبة بل قبلها، إلى ما قبل معركة رمضان - في زاوية قصية، ودعاة الإسلام في السجون، والمسيطر على أكثر البلاد العربية والإسلامية الفكر الشيوعي والاشتراكي والماركسي واليساري، وأن الإسلام الكفيل بإنقاذ الشعوب وتحقيق النصر مُغيب عن الأمة، وأن دعاة الإسلام القادرين - بإذن الله - على قيادة الشعوب العربية والإسلامية إلى النصر أكثرهم قد أودع السجون أو منع من الاتصال بالجمهور بصورة أو بأخرى.

وأما المجتمعات الإسلامية، فأكثرها تنتشر فيه المنكرات من ربا وزنى وخمور وسائر الموبقات، وقليل من الناس من يصلي أو يصوم، والمساجد تكاد تكون مهجورة، والتدين في الشباب قليل أو نادر، وشريعة الله - تعالى - مغيبة عن الحكم وفصل الخطاب، وإنما أردت بهذا البيان لواقع المسلمين قبل معركة رمضان أن أقول: إننا لم نكن أهلاً للنصر الذي جرى في رمضان لكن الله - تعالى - أراد أن يُحدث التغيير الكبير الذي قارن المعركة وما بعدها، وأن يُمضي قدره في إعزاز هذه الأمة ورفع شأنها وتفضيلها على العالمين، فكان لابد من حدوث التغيير، وهذا ما سأرجئ الحديث عنه إلى العددين القادمين، إن شاء الله تعالى.■

خصائص شهر رمضان

الصوم في الشرع إمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية الصيام، فمن حقق هذا في صيامه كان صيامه صحيحاً في ظاهر الشرع، ولكن قبوله له كقبول سائر العبادات يحتاج مع ذلك إلى مجاهدة ومصابرة في تحقيق غاياته وأهدافه المرجوة شرعاً منها.. فكم من مُصلٍ لا يحقق من صلاته إلا الأعمال الظاهرة من قيام وركوع وسجود، كما قال رسول الله ﷺ «رب مُصَلٍّ ليس له من صلاته إلا نصفها إلا ثلثها إلا رُبعها حتى بلغ عُشرها».

وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، كما قال رسول الله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

لقد شُرع الصوم من أجل أن تسمو النفوس البشرية إلى عالم الخير، وللتريض على الصفات النبيلة التي تؤهلها للسعادة في الدارين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ (البقرة)

وقد جعل الله الصوم شهراً في السنة يتزود فيه المؤمنون بحكم الصوم وفضائله لباقي شهور العام حتى يصل إلى التقوى بحيث يتقون بتلك الفضائل على الشرور والآثام.

د. زيد بن محمد الرماني (*)

ومن أهم حكم الصوم وفضائله أنه يربي في الصائم المؤمن ملكة الصبر والمصابرة عن الشهوات المفسدة للأخلاق، فمن ربّى نفسه طيلة شهر رمضان على ترك شهواته المباحة الميسورة امتثالاً لأمر الله تعالى واحتساباً، يُرجى أن تتربى عنده ملكة ترك الشهوات طيلة شهور السنة.

يقول الحاج «أحمد الحبابي» في كتابه «مرونة الإسلام»: إن من أهم حكم الصوم تربية ملكة الصبر على المكاره والمَشاق، فمَنْ صبر طيلة أيام شهر كامل على احتمال مشقة الجوع والعطش، لاسيما في الأيام الطوال الحارة، فإنه يُرجى أن تتربى عنده ملكة الصبر في المواطن التي تحتاج إلى ذلك.

– ومن فضائل الصيام تربية ملكة الشفقة والرحمة على الفقراء والمساكين، فإنه حينما يشتد جوع الصائم وعطشه يشعر بحاجة إخوانه المحتاجين، وربما حمله ذلك على الإحسان إليهم وفي ذلك إصلاح اجتماعي، وبهذا ترتبط فريضة الزكاة بفريضة الصيام برباط ديني اجتماعي إنساني متين.

– ومن خصائص شهر رمضان تربية مراقبة الله عز وجل في جميع أعمال الصائم طيلة شهور السنة، إذ عند ترك الصائم كل ما يرغب فيه أثناء أيام صيامه من أكل نفيس وشراب عذب وفاكهة شهية وكل ما يستهويه من الملذات امتثالاً لأمر الله تعالى، فإن من نتائج هذا أن تتقوّى ملكة المراقبة ومحاسبة النفس بقية شهور العام.

– وفي الصوم فرصة لتربية ملكة الأمانة في شعور الصائم ووجدانه، فإذا علم معرفة الصائم بأن الصوم دَيْنٌ عليه، وأمانة في عنقه، ثم قام بواجبات هذه الأمانة ووفى حقوقها، كان أحرى بأداء العبادات والمعاملات الأخرى على خير وجه.

– وفريضة الصيام تربي في نفسية الصائم ملكة النظام في جميع أعماله، فإنه حينما يلتزم وقتاً محدداً لصومه وإفطاره وسحوره وقيامه وتلاوته للقرآن وزيارة الأقارب والأصحاب فإن ذلك يربي عنده حب النظام والمحافظة على ترتيب الأعمال.

وفي شهر رمضان يتجلى مظهر الوحدة والاتحاد بين المسلمين، فهم جميعاً يُمسكون عن كل مفطر في وقت واحد قبيل مطلع الفجر، ثم يُقبلون جميعاً على الإفطار في وقت واحد عند غروب الشمس.

– ونضيف إلى ما سبق من الخصائص والسمات والفضائل المرتبطة بفريضة الصيام في شهر رمضان المبارك أيضاً أن في الصوم فرصة لإذابة شحوم المترهلين وإفناء المواد السامة المترسبة في الأبدان، لاسيما أبدان المترفين أولي النهم قليلي العمل، وتطهير الأمعاء من السموم التي تحدثها البطنة، فكثير من المرضى يتعافون أثناء شهر رمضان، وصدق مَنْ قال: «صوموا تصحوا».

– ومن يسر الإسلام ومرونته تخفيفه سبحانه وتعالى وترخيصه لأصحاب الأعذار بالفطر في رمضان حيث قال عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ (البقرة)، ومن المعلوم أن الإطاقة أدنى درجات المكنة والقدرة على الشيء إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف.

والمراد بـ «الذين يطيقونه» الشيوخ الضعاف والمرضى الذين لا يُرجى بُرْءُ أمراضهم ومَنْ في حُكمهم، فهؤلاء لا صيام عليهم وإنما تجب عليهم الفدية وهي إطعام مسكين عن كل يوم من أوسط ما يطعمون منه أهليهم.

وخلاصة القول: إن في فريضة الصيام في شهر رمضان فضائل وحكماً وخصائص لا توجد في غيره، مما يعني تأكيد اغتنام هذه الفضائل بنية صادقة وإخلاص لله سبحانه، رجاء الثواب الجزيل.■

(*) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

د.توفيق الواعي dar_elbhoth@hotmail.com

القراءة الصحيحة للوقائع واجبة!!

عزائي عظيم للذين لا يقرؤون الوقائع بوعي، ودهشتي أكبر للذين لا يفقهون الحوادث بعمق، ولايستطيعون قراءة خطاب العصر بتجرد، أو يعقلون سنن الحياة وأسباب الحوادث ببصيرة، إنني في ساعات كثيرة أشفق على أقلام كثيرة؛ لأنها تكتب بتقيّحات آسنة لا بمداد مضيء، وبسطحية تدعو إلى الرثاء، لا بعمق يدعو إلى الفقه والتأمل، لقد كثر الخبط العشوائي في الحوادث وفي النوازل بنيّة حسنة تدعو إلى التعجب من ضحالتها، وبسوء نية في بعض الأحوال تدعو إلى الغثيان، تجد مثلاً إنساناً يُشخّص الكثرة على أنها جريمة، وآخر يُقَيِّم الحماس للإصلاح على أنه تطرف وفتنة، وثالث يتربص بأصحاب الرأي والمنطق، ورابع يحذر من الإبداع، ويخوّف من النبوغ، وخامس يصف الحرية بالفوضوية، والمنادين بها بالخارجين على القانون.. وهكذا.

أترى هذا إذا فسر تاريخاً للنضال، كيف سيقول؟ وإذا قيِّم المسيرة لأية أمة ماذا سيفعل؟ إذاً سيبتر الأسباب عن المسببات، ويتنازل عن مصالح الأمة في سبيل أهواء الأشخاص، و ماذا سيكون عمله؟ وإذا ألقى الخطاب التاريخي مقلوباً، وقرأ سطوره بمنطق المنافق أو الخائب، أو الصائد في الماء العكر، كيف سيكون قلمه، أو يخط مداده، أو تسود صحيفته؟ إنها تكون بلاشك كارثة وطنية وفكرية، ونكبة من نكبات الأمة، وحادثة أليمة من حوادثها، ولكني:

تعوّدتُ مس الضرِّ حتى ألفته
وأحوجني طول البلاء إلى الصبر
وقطّعت أطماعي من الجهل آيساً
لعلمي بصنع الله من حيث لا أدري

بعد هذا أريد أن أقف معك ولو للحظات عند كلمة التطرف، أو العمل القومي في تاريخ الكفاح الوطني ضد الفساد، والظلم، والعمالة الأجنبية، أنقلك ولو قليلاً إلى حقبة من حقَب هذا الكفاح في الشرق، وأريد لك أن تلاحظ معي كمية القهر التي وقعت على الأحرار في تلك الفترة، وكمية النفاق والعمالة التي كانت تصاحب الفساد وتمدحه، وتهيم به، ثم بعد ذلك خَبِّرني عن شعورك بدون تحيز.

السلطة المحتلة كانت تحتل البلاد وتقهرها وتأخذ خيراتها، وتقتل وتحاكم وتشرد الوطنيين في بلادهم، وتقهر كل من يطالب بإصلاح أو حرية، ثم تشتري ضعاف النفوس وترفعهم إلى أعلى المناصب، وتخلع عليهم الرتب والنياشين، وتولي الحكام والملوك وتعزلهم إذا أرادت. وسأضرب أمثلة وأريك لقطات ومناظر، حتى يتعمق الفهم والرؤية: «الجنرال اللنبي» كان سفاح عصره، وحاقد أمته، وصليبي القرن، ومندوب بريطانيا السامي في القاهرة، يقوم بحملة قهر منقطعة النظير، ثم يذهب إلى فلسطين ويذيق أهلها الهوان، ويقتحم القدس في الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة، وتنشر الصحف البريطانية صورته، وتنقل كلمته عند الاقتحام حيث يقول: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»، ثم يرجع إلى مصر، ويُخرج سعد زغلول ورفاقه منفيين من مصر، ويطلق يد الإجرام من مباحث، وسلطات القمع لتذيق الناس الهوان، ثم تكتب صحف القاهرة بعد أن تنشر صوره الضخمة في صدر صفحاتها، وتتهافت الأقلام القذرة في مدحه وإعلائه، تكتب أكبر مجلة أسبوعية في مصر وهي «اللطائف المصورة» الصادرة في يوم الإثنين ٩ ديسمبر عام ١٩١٨م قائلة: «من أجمل المشاهد التي شهدها سكان القاهرة، وأبهاها منظراً، دخول فخامة «الجنرال اللنبي» في يوم الأحد ٢٤ نوفمبر إلى مدينة القاهرة، عائداً من ميدان الحرب في سورية وفلسطين، بعد أن أنهى مهمته العظيمة الشأن، وختم فعاله الباهرة التي كللت بالنصر التام، وقد هب كبار رجال الدولة وأعيان مصر، من وطنيين وأجانب لاستقبال فخامته على رصيف المحطة عند وصوله بالسلامة، وخرج الناس عن بكرة أبيهم من أهل العاصمة للاشتراك في الاستقبال بالأعلام والزينات، واحتشدوا على جانبي الطريق، ووقفوا في الشرفات وعلى السطوح والبنايات التي تطل على الطريق بالورود، وبعد أن توقف القطار، وصافح مندوب الملك ورجال السلطة، ثم ركب «أتومبيلاً» جميلاً وسط «موتوسيكلات» الحراسة والنساء تلقي عليه الورود في الطرقات وتحوم الطائرات على الموكب، ولا غرو ففخامته حامي الديار المصرية، وفاتح الديار والأمصار».

هذا والله هو ما كتبه الكتّاب المنافقون العملاء، وهم أهل الفكر وأصحاب الأقلام، فماذا سيفعل الشعب المسكين والأحرار الوطنيون؟ ثم ماذا كان شأن السلطة التي تحكم مصر في ذلك الوقت؟ أكانت مع الشعب والأمة، أم كانت مع المستعمر وتأتمر بأمره؟ لا نتجنى على أحد. ولكن ننظر إلى خطاب سلطان مصر وملكها الذي أرسله إلى «ياور» جلالة ملك إنجلترا لنحكم على الرجل. يقول الكولونيل «دي ستريورك»: إن سلطان مصر قال له: «إن بريطانيا أخذتني كالبرتقالة ومصتني، ثم تريد أن ترميني، فبعد أن وقفت معها، وتسببت في كراهية المصريين وعداوتهم، وقمت بقمعهم، أصبحت أشعر أنني صفر على الشمال»، ثم يقول الكولونيل بعد كلام السلطان: أصبحت أرثي له ويجب ألا نتخلى عنه لأنه موثوق به!! ولْنَر منظراً آخر للسلطان «فؤاد» حاكم مصر لما ذهب إليه أحد أعضاء الوفد المصري المفاوض للإنجليز طلباً للاستقلال وهو «محمود بك فؤاد» يطلب مساندته، قال له السلطان بالحرف الواحد: «أنتم تطلبون الاستقلال التام، والإنجليز الأمة العظيمة الكبيرة، كيف تخرج من هنا؟ «نحن يرضينا ٥٠٪ من حقنا أو حتى ٥٤٪»، وكان ذلك في ١٧ مارس ١٩٢٠م، ثم شرع الملك بجمع توقيعات الناس ضد الوفد المفاوض وضد الاستقلال، فما رأيك أيها القارئ الهُمام؟! ثم شرع الملك والسلطة البريطانية تطلق على كل من نادى بالاستقلال أو الإصلاح كلمة «المتطرف».

ونشرت جريدة «التايمز» تحذيراً للمتطرفين تقول بالحرف الواحد: «إن لديها وثائق تثبت أن المتطرفين في مصر يحاولون قلب نظام الحكم».

ثم تبعتها وكالة «رويتر» في يناير ١٩٢٠م بتقارير وُزِّعت على جميع الصحف في العالم هذا نصها: «أن هناك وثائق تثبت أن قلب نظام السلطة سيكون أولى نتائج انتصار المتطرفين في مصر»، ولكنها للأسف لم تنشر أية وثيقة! كل هذا كان يدعو إلى فقد الأعصاب عند الوطنيين المصريين، خاصة أن جريدة «التايمز» كانت تصف سعد زغلول وغيره من المصلحين بزعماء المتطرفين! ولقد كان سعد زغلول جريئاً بحق في مقابل السلطة العميلة؛ حيث كان يخاطب الشعب فيقول: «إن السلطان فؤاد جندي بريطاني، ويجب أن يخرج مع جيوش الاحتلال، لأنه باع نفسه، ويريد أن يبيع شعبه، فكيف يكون هذا قائد أمة وحاميها وعصبها وراعي نهضتها وتطلعاتها؟».

يا خاسراً هانت عليه نفسه
إذ باعها بالغبن من أعدائه
لو كنت تعلم قدر ما قد بعته
لفسخت ذاك البيع قبل وفائه
أو كنت كُفؤاً للرشاد وللهدى
أبصرت لكن لست من أكفائه

فهل يستطيع مفكرونا اليوم القراءة الصحيحة للحوادث، وخاصة بعد أن وجدوا الدولارات الأمريكية تنهمر على كثير من مثقفينا الذين يمارسون الصناعة الوطنية بحماس منقطع النظير ويتصدرون المواقف اليوم، ويمارسون التحليلات والتصريحات في القنوات الفضائية، حتى يظن الرائي أنهم فرسان الحلبة.. قليلاً من الحياء ياسادة حتى يتمكن رواد النهضة من صياغة المشروع الحضاري المرتقب فتنهض الأمة ويسلم الجميع، ولا نهلك أنفسنا وطاقاتنا في صراعات لا ناقة لأحد فيها ولا جمل! وأظن أن حلبة هذا «السيرك» التائه أصبحت لاتخفى على الناس، وأضحت لاتخدع حتى السذج، نسأل الله أن يصلح ويوفق الجميع آمين.■

أثر النوم على الصيام في رمضان

كثرة النوم في نهار رمضان تكاد تكون ظاهرة في غالب الدول العربية والإسلامية، فرمضان يعني قلة الإنتاج، وقلة عدد ساعات العمل، ويترتب عليه كثرة النوم بالنهار، وكثرة الطعام في الإفطار، وكثرة السهر في الليل ليس تعبداً، ولكن مشاهدة للتلفاز، أو خروجاً في سهرات «رمضانية»، وربما يكون السهر حتى قبل الفجر، فتتناول الأسر والأفراد طعام السحور مبكراً وليس مؤخراً كما هي السُّنة، وقد ينتهي الأمر بضياع صلاة الفجر!!

د. مسعود صبري

تلك صورة لعدد غير قليل وشرائح كثيرة من أمة الإسلام في رمضان، مع عصر العولمة والانتفاخ الثقافي والإعلامي وثورة الاتصالات، فما رأي العلماء في هذه الظاهرة، وهل صحيح أن كل هذا لا تأثير له على الصيام؟

ترك واجبين

الشيخ «صالح بن فوزان الفوزان» (عضو هيئة كبار العلماء عضو اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية) يقول في رد على سؤال حول حكم من نام نهار رمضان كله، ولا يستيقظ إلا عند الإفطار: «إن من نام نهار رمضان كله؛ فصيامه صحيح إذا كان نوى الصيام قبل طلوع الفجر، ولكن يحرم عليه ترك أداء الصلوات في مواقيتها، وترك صلاة الجماعة إن كان ممَّن تجب عليه صلاة الجماعة، فيكون قد ترك واجبين يأثم عليهما أشدّ الإثم؛ إلا إذا كان ذلك ليس من عادته، وإنما حصل منه نادراً، مع نيته القيام للصلاة. وبالمناسبة فإنه من المؤسف جدّاً أن كثيراً من الناس اعتادوا السهر في رمضان، فإذا أقبل الفجر؛ تسحروا وناموا جميع النهار أو معظمه، وتركوا الصلوات، مع أن الصلوات آكد من الصيام وألزم، بل لا يصح الصيام ممن لا يصلي، والأمر خطير جدّاً، والسهر الذي يسبب النوم عن أداء الصلاة سهر محرم، وإذا كان سهراً على لهو ولعب أو فعل محرمات فإن الأمر أخطر، والمعاصي يعظم إثمها ويشتدُّ خطرها في رمضان وفي الأزمنة والأمكنة الفاضلة أشدّ من غيرها».

الإثم يقع على من أفرط في النوم بسبب السهر على غير طاعة

استغلال الوقت

الشيخ العلامة «عبد العزيز بن باز» يرحمه الله يوصي الصائم باستثمار وقته وعدم إضاعته بالنوم فيقول: «لاحرج في النوم نهاراً وليلاً إذا لم يترتب عليه إضاعة شيء من الواجبات ولا ارتكاب شيء من المحرمات، والمشروع للمسلم سواءً كان صائماً أو غيره عدم السهر بالليل، والمبادرة إلى النوم بعدما يسّر الله له من قيام الليل، ثم القيام إلى السحور إن كان في رمضان؛ لأن السحور سنّة مؤكّدة وهو أكلة السحر، لقول النبي ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة» (متفق عليه).

وقوله ﷺ: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر» (رواه مسلم).

كما يجب على الصائم وغيره المحافظة على جميع الصلوات الخمس في الجماعة والحذر من التشاغل عنها بنوم أو غيره، وأداء جميع الأعمال التي يجب أداؤها في أوقاتها للحكومة أو غيرها، وعدم التشاغل عنها بنوم أو غيره، وهكذا يجب عليه السعي في طلب الرزق الحلال الذي يحتاج إليه هو ومن يعول.

والخلاصة: إن وصيتي للجميع من الرجال والنساء والصوام وغيرهم هي تقوى الله جل وعلا في جميع الأحوال، والمحافظة على أداء الواجبات في أوقاتها على الوجه الذي شرعه الله، والحذر كلّ الحذر من التشاغل عن ذلك بنوم أو غيره من المباحات، وإذا كان التشاغل عن ذلك بشيء من المعاصي صار الإثم أكبر والجريمة أعظم» (فتاوى الشيخ ابن باز ١٥٦/٤).

التقوي على القيام

الشيخ «عبد الله بن جبرين» يرى أنه لا بأس بالنوم في نهار رمضان لراحة البدن وللتقوي على قيام الليل ولترك الخوض مع الخائضين فيما فيه مضرة كالغيبة واللهو والباطل، وقد ورد في حديث مرفوع «نوم الصائم عبادة» (رواه البيهقي)، ولكن كثرة النوم تفوت خيراً كثيراً، فإن الإنسان مطالب بأعمال دنيوية كالحرفة والتكسب والعمل في طلب الرزق، فمتى نام أكثر النهار فإنه فاته خير كثير، وكذا يشرع في رمضان الإكثار من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن؛ فيندب اغتنام الأوقات الفاضلة وعدم إضاعتها في النوم الكثير ولكن النوم أفضل من اللهو واللعب والقيل والقال والخوض في أعراض الناس؛ فإن ذلك مما ينقص أجر الصيام لحديث «ليس الصيام من الطعام والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث».

عبادات شتى

الشيخ «محمد بن صالح العثيمين» يرحمه الله، فيؤكد أن الرجل الذي ينام طوال النهار ولا يستيقظ، فهو جانٍ على نفسه، وعاصٍ لله عز وجل بتركه الصلاة في أوقاتها، وإذا كان من أهل الجماعة فقد أضاف إلى ذلك ترك الجماعة أيضاً، وهو حرام عليه ومنقص لصومه، وما مثله إلا مثل من يبني قصراً ويهدم مصراً، فعليه أن يتوب إلى الله عز وجل، وأن يقوم ويؤدي الصلاة

الشيخ صالح بن فوزان

الشيخ عبد الله بن جبرين

الشيخ عطية صقر

أكمل المؤمنين حالاً من يجتهد في رمضان ويستفيد من فيوضاته

إن كان لايضيع الصلوات فهو جائز.. وإن كان يتقوى به على القيام أو يهرب من الغيبة والنميمة وارتكاب المحرمات يثاب عليه

في أوقاتها حسب ما أمر الله تعالى بها، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣)﴾ (النساء).

أما إذا كان يقوم ويصلي الصلاة المفروضة في وقتها ومع الجماعة، فهذا ليس بآثم، لكنه فوت على نفسه خيراً كثيراً؛ لأنه ينبغي للصائم أن يشتغل بالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم، حتى يجمع في صيامه عبادات شتى، والإنسان إذا عوَّد نفسه ومرَّنها على أعمال العبادة في حال الصيام سهل عليه ذلك، وإذا عود نفسه الكسل والخمول والراحة صار لا يألف إلا ذلك، فنصيحتي لهذا ألا يستوعب وقت صيامه في نومه، فليحرص على العبادة.

وقد يسر الله والحمد لله في وقتنا هذا للصائم ما يزيل عنه مشقة الصوم، من المكيفات وغيرها مما يهون عليه الصيام.

للناس أحوال

الشيخ عطية صقر يرحمه الله

(رئيس لجنة الفتوى بالأزهر سابقاً) يفرق بين أحوال الناس في النوم في نهار رمضان، فللناس أحوال فيه:

الحالة الأولى: أن الصائم الذي يتعرض أثناء صيامه لأمور تتنافى مع حكمة الصيام بسبب اندماجه مع المجتمع كالكذب والغيبة، والنظر المحرم، وغير ذلك، سيكفه نومه بالنهار عن هذه الأمور المنكرة. وذلك صورة من صور العبادة فهو عبادة سلبية كالصدقة التي قال النبي ﷺ في وجوبها على كل مسلم لا يجد ما يتصدق به، ولا معونة من أي نوع كان قال: «فليمسك عن الشر فإن إمساكه عن الشر صدقة»، (رواه البخاري ومسلم). ومن هنا يكون نومه صواباً وعبادة.

الحالة الثانية: الصائم الذي يؤثر النوم على العمل الإيجابي المنتج مخالف لأوامر الدين في وجوب استغلال طاقة الإنسان في عمل الخير، ومخالف كذلك للأوامر الدينية التي تنفر من العجز والكسل.

فالنبي ﷺ أمر أبا أمامة بالاستعاذة منهما حتى يذهب الله همه ويقضي دينه، كما روى أبو داود.

فالإسلام دين حركة، وعمل وإنتاج والصائم يمكنه ذلك في حدود الوسع والطاقة، ولم يقف الصحابة عن العمل وهم صائمون، بل وقعت كبرى المعارك في شهر رمضان، وعلى رأسها موقعة «بدر» والفتح الأعظم بمكة المكرمة.

ومن هنا يكون نوم الصائم خطأ، وليس عبادة.

وإذا كانت بعض الدول تخفف من العمل في شهر الصيام، فلا يجوز أن يستغل ذلك لمزيد من الكسل والتهاون، فالعمل الصالح في ظل الصيام له ثوابه الجزيل.

كما أن شهر رمضان شهر عبادة ليلاً ونهاراً: أما بالليل فبالقيام بصلاة التراويح وقراءة القرآن، وأما بالنهار فبالصيام، والجزاء على ذلك وردت فيه نصوص كثيرة، وفي حديث واحد جمع ثواب الصيام والقرآن، فقال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: يا رب منعته الطعام والشهوة بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان» (رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه).

ولو نام الصائم طوال النهار فصيامه صحيح، وليس حراماً عليه أن ينام كثيراً ما دام يؤدي الصلوات في أوقاتها، وكان النوم مانعاً له من التورط في أمور لا تليق بالصائم، وتتنافى مع حكمة مشروعية الصيام، وهي جهاد النفس ضد الشهوات والرغبات التي من أهمها شهوتا البطن والفرج، ويدخل في الجهاد عدم التورط في المعاصي مثل الكذب والزور والغيبة، فقد صح في الحديث: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

وخلاصة القول

إن النوم بنهار رمضان لا يؤثر على صحة الصيام، فالصيام صحيح من حيث الأداء، والناس تختلف أحوالها فيه، فإن كان الصائم الذي يكثر النوم لا يضيع الصلوات، فهو نوم جائز، ولا إثم عليه، لكنه يكره له كثرة النوم لعدم انشغاله بالطاعة.

أما إن كان ينام قليلاً، خاصة وقت القيلولة ليقدر على قيام الليل والذكر وقراءة القرآن، فهذا يثاب على نومه وفعله.

وكذلك الحال إن كان يخشى على نفسه ضياع وقته في الغيبة والنميمة وارتكاب المحرمات؛ فإنه يثاب بنيته، مالم يضيع الفرائض.

لكن الإثم واقع على من أفرط في النوم بسبب السهر بالليل على غير طاعة، فهو ينام النهار لكثرة سهره بالليل، ويتأكد الإثم أكثر إذا كان يضيع الصلوات ولا يؤديها في أوقاتها.

وأكمل المؤمنين حالاً في رمضان من يسير على ما كان عليه الرسول ﷺ من الاجتهاد في رمضان، والإفادة من فيوضاته ونفحاته، وإن كان لابد من النوم، فالسنة النوم وقت القيلولة مع أخذ قسط من النوم بالليل، حتى يرضي ربه، ويريح جسده، ويجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ذلك أن الله تعالى ارتضى لهذه الأمة أن تكون متميزة عن باقي الأمم، وقد منحها رمضان فرصة عظيمة لتعوض قصر أعمارها، فليس من الحكمة ضياع الفرص والعمر بكثرة النوم وكثرة المعاصي.■

قُطّاع الطريق!! (٢)

إبليس

إيمان مغازي الشرقاوي (*)

إنه أكبر قاطع للطريق علينا في هذه الحياة؛ بل هو زعيم القُطّاع وقائدهم على طول الطريق، وقد أقسم على ذلك، وحاول مراراً، وما زال يحاول تكراراً مع كل بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وألسنتهم وطبقاتهم؛ ليسرق منهم إيمان القلوب الكامن فيها بفطرتهم الأولى منذ لحظة الميلاد.. إنه يحاول أن يطمس عليها حتى لا يكون لها وجود، أو يستبدلها ويبدّلها ليكونوا معه سواء، يقطع طريقهم إلى الخير ورحلتهم إلى مالك الملك، وقد ينجح مع البعض ويفشل مع البعض الآخر، لكنه في نهاية المطاف وفي آخر الرحلة مدحور مغلوب قد حقت عليه اللعنة وباءَ بالخسران المبين، بما في نفسه من الكبر والغواية والإضلال والتضليل.

له من الجنود الظاهرة والخفية ما لا يُحصى.. وعنده من أسلحة الدمار القلبي كل نوع وشكل

فهل نرضى أن يقطع علينا هذا الملعون طريق سيرنا إلى الله عز وجل في هذه الحياة؟ وهل نسير في هذا الطريق دون تحصين وتسلح؟!

إنه يتبرأ ممن أغواهم، ويتنصل من المسؤولية، موجّهاً إليهم خطبته التي حكاها لنا القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾ (إبراهيم).

وكيف بك أيها الإنسان إذا قابلتَ في طريقك إلى دارك عدواً شرساً يصدّك عن السير إليها بكل الطرق، مارداً عنيداً شديد البأس، له من الجنود الظاهرة والخفية ما لا يُحصى، وعنده من أسلحة الدمار القلبي كل نوع وشكل، لا يملّ جيشه من طول حرب، ولا يُفلّ حديده من تكرار ضرب، ولا يموت قبلك فتستريح منه.. وهو مع ذلك لا تُجدي معه نصيحة، ولا يستجديه ثناء، ولا يأسره كرم، ولا يرقّ لقول، ولا ينثني من لوم، ولا يرعوي لصلح.. أكنت تستسلم له دون مقاومة، أو تستمع إليه دون حذر؟

وماذا لو منعك من دخول دارك واستعصى عليك دفعه، أفلا يجدر بك أن تطلب من ملك الملوك العون عليه، وتستجدي النجدة لجلب النصر، ثم تدافعه وتجاهده بكل قوتك لتدخل الدار آمناً بعد طول صراع، بعد أن كابدتَ في دفعه ما كابدتَ، وصبرتَ وصابرتَ، ورابطتَ وثابرتَ، وعانيتَ في جهاده حتى وصلت.

ورغم كل هذه القوة، فإنه ضعيف أمامك ما دمت مؤمناً، خائف منك ما دمت تجاهده، مهزوم في حربك ما دمت موصولاً بالملك العظيم الذي تستمد منه القوة في نزاله، وقد شطن عدوك عن أمر الملك العظيم، وفسق عن طاعة القوي العزيز الغالب عز وجل.

كيده ضعيف

فلا تتردد أيها الإنسان في مقارعته، وكن قوياً في وجهه، ولا ترهب سطوته فهي ضعيفة مهما قَوِيَتْ، وخائرة مهما استعلت، ومهزومة ولو انتصرت.. لأن هذه القوة لا ترتد إلا في صدور أصدقائه المقربين إليه، المنشقين على ملكهم الحق الخارجين على حكمه، ولا يسطو هذا العدو إلا على قلوب من ينخدعون به فيتخذونه ولياً من دون الله، ومع ذلك فهو لهم خائن وإن أبدى نصحه وذكاءه، وغاشٌّ وإن أظهر حبه وولاءه، لأن قوته مزيفة وليست مطلقة، كما أن أولياءه وأصدقاءه ربما اكتشفوا أمره بعد حين وعرفوا خيانته لهم فانقلبوا عليه، ولم يطيعوا له أمراً أو يقبلوا منه نصحاً، وقد يعودون في أي لحظة إلى رشدهم وصوابهم فيتصالحوا مع مليكهم ومالك رقابهم الحق سبحانه وتعالى؛ ليعيشوا أعزة آمنين في كنفه.

وقوة هذا العدو كذلك ضعيفة لأن هناك صنفاً آخر من البشر أقوى منه قلباً، وأشد منه بأساً، لا تُجدي معهم محاولاته، ولا ينساقون لإغرائه ولا يقعون في شباكه، بل يقفون في وجهه بالمرصاد ليُبطلوا كيده ويكشفوا زيفه، ويبصِّروا الناس بكذبه ومكره.

لقد حذرنا الله تعالى من الشيطان

(*) إجازة في الشريعة

لا يملُّ جيشه من طول حرب.. ولا يُفلُّ حديده من تكرار ضرب.. ولا يموت قبلك فتستريح منه

ذُكر القرآنُ «إبليس» في ١١ موضعاً.. والشيطانَ مفرداً في ٦٣ موضعاً.. والشياطينَ بالجمع في ١٣ موضعاً

الرجيم، وذكره في مواضع عدة من القرآن الكريم، ليس تكريماً له بل لنأخذ حذرنا منه، فذكر «إبليس» في أحد عشر موضعاً، وذكر الشيطان مفرداً في ثلاثة وستين موضعاً، والشياطين بالجمع في ثلاثة عشر موضعاً.. وفي هذا دلالة على أهمية النظر في العلاقة بين بني آدم وبين هذا العدو الذي يحارب الإنسان منذ مولده حتى لحظة احتضاره وموته، ويحاول أن يقطع عليه طريقه إلى الله.

يقول النبي ﷺ: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يُولد، فيستهل صارخاً من مسِّ الشيطان، غير مريم وابنها» (رواه البخاري). ويقول ﷺ: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم..» (رواه أحمد، وصححه السيوطي). وقد سُئل الحسن البصري أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة.

وقد بدأت المعركة بيننا وبين الشيطان منذ خَلْق أبينا آدم عليه السلام، حين أعلن «إبليس» حربه عليه وأصر على استمرارها بلا توقف إلى يوم الدين، ولم يستحي من ربه عز وجل حين عصاه وأبَى واستكبر وفسق عن أمره.. وهنا، حذر الله عبده آدم من هذا العدو وقال له: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)﴾(طه).

لكن هذا العدو استخدم الغش والخداع والكذب والزور مع آدم، وتحايل عليه حتى أخرجه وزوجه من الجنة، وأهبط معه ليمارس دوره القبيح مع ذرية آدم إلى أن تقوم الساعة، يمارسه وإن اختلفت أساليب الإغواء وتغيرت طرق الغواية وتطورت مع مرور الأزمنة، ليتحقق الابتلاء والتمحيص.. فلنحصن أنفسنا بدروع الإيمان الواقية والطاعات المضادة، ولنقوها بالعبادات الدائمة حتى يرد الله كيده في نحره ونسد عليه الطريق.

خطوات ومراتب

والشيطان يتتبع الإنسان ويتعقبه حتى يضمه إلى حزبه، وله منهج يسير عليه وينتقل من خطوة إلى أخرى حتى يحقق هدفه. ويوضح ذلك الإمام الغزالي – يرحمه الله – فيقول: «الشيطان يأتي ابن آدم من قِبَل المعاصي، فإن امتنع أتاه من وجه النصح حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرِّم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فيميل قلبه إليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه».

لا تتردد في مقارعته ولا ترهب سطوته.. فهي ضعيفة مهما قويتْ وخائرة مهما استعلتْ ومهزومة ولو انتصرتْ

وللشيطان مراتب يستخدمها في الإغواء واحدة تلو الأخرى، فإن أعجزه العبد في إحداها نزل إلى التي تليها، وقد جمعها ابن القيم – يرحمه الله – في ست مراتب:

الأولى: الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله.

الثانية: البدعة وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في نفس الدين ضرر متعدٍّ.

الثالثة: الكبائر على اختلاف أنواعها.

الرابعة: الصغائر التي إذا اجتمعت ربما أهلكت صاحبها.

الخامسة: إشغال العبد بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها.

السادسة: أن يشغله بالعمل المفضول عن الفاضل.

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست يسلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل.

وقد حذرنا الله تعالى من كل ذلك؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)﴾ (النور).

وكل معصية لله هي من خطوات الشيطان التي يخطوها في طرق مليئة بالشهوات والشبهات لإضلال الناس، وهي متنوعة وكثيرة كخطواته، ومن ذلك:

تزيين الباطل في عيون العصاة، وقد قال لربه عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩)﴾

(الحجر). فالتزيين أولاً ثم الإغواء.

خطط لمقاومته

جاء في الحديث القدسي: «.. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم، وحرّمتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» (رواه مسلم).

فإذا عرفت أن الشيطان هو عدوك الأول منذ خلق أبيك آدم، وهو زعيم قطاع الطريق على العاملين فإن لك ألا تفتر عن مقاومتك له، كما يجب عليك دراسة مخططه لتفسده، ومعرفة مداخله لتسدها عليه قبل أن يخترق أرض قلبك وجدار روحك، ومن هنا كان العلم سابقاً للعبادة ومعيناً عليها.

فإذا علمت أنه يعطلك عن المسير ويقطع طريقك ويصل إليك من باب الجهل فأغلقه في وجهه بالعلم دون تردد، وهكذا تفعل مع بقية مداخله على طول الطريق، فتسد عليه كل المداخل وتدفعه عنها بمضاداتها القاتلة؛ فتدفع الغضب بالحلم وأسبابه، والكبر بالتواضع وخفض الجناح، وحب الدنيا بالزهد والقناعة، وطول الأمل بذكر الموت، والحرص بالعطاء والبذل، والبخل بالإنفاق والكرم، والرياء بالإخلاص، والجزع بالصبر، وهكذا في سائر أحوالك المختلفة.. وهذا يتطلب منك حراسة شديدة ويقظة تامة مع الاستعاذة بالله منه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨)﴾ (المؤمنون).

تنبيهات القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم العديد من أخلاق الشيطان وأعماله، ومن بينها:

- الكبر والحسد والعُجب والكذب.. ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦)﴾(ص)، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠)﴾ (النساء).

فلنحصّن أنفسنا بدروع الإيمان الواقية والطاعات المضادة.. ولنقوّها بالعبادات الدائمة حتى نسد عليه الطريق

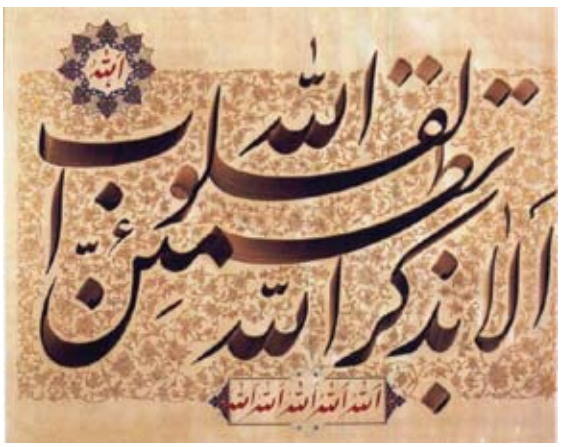

- معاداة الإنسان وإضلاله.. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥)﴾ (يوسف). ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠)﴾ (النساء).

- التخويف والأمر بالمعاصي.. ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ (آل عمران). ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾(البقرة).

- إثارة العداوات..﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)﴾ (الإسراء).

- هتك العورات.. ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾(الأعراف: ٢٧).

- الأمر بتغيير خلق الله.. ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩)﴾ (النساء).

- الصدّ عن ذكر الله.. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)﴾(المائدة).

تحذيرات النبي ﷺ

«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (متفق عليه). «إن الغضب من الشيطان» (رواه أحمد، وحسنه السيوطي). «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم» (رواه مسلم). «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأمّا لمة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق» (رواه الترمذي، وصححه السيوطي). «الشيطان يهم بالواحد والاثنين، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم» (رواه البزار، وصححه السيوطي). «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد» (رواه أحمد، وحسنه السيوطي). «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه» (رواه مسلم). «إن الشيطان يأتي أحدكم في صلاته فيلبس عليه حتى لا يدري كم صلى» (رواه الترمذي، وحسنه السيوطي).

حرز من الشيطان

قال النبي ﷺ: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان، وشركه، قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك» (رواه أحمد، وصححه السيوطي).

وقال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» (رواه البخاري).■

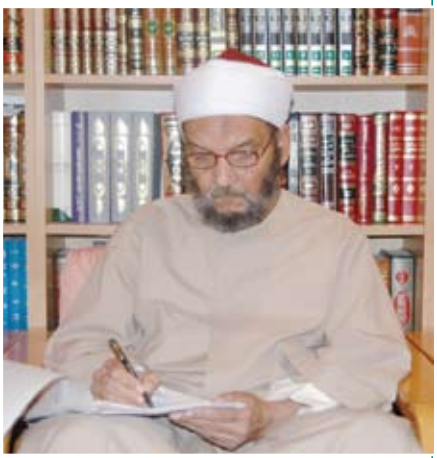

من فضائل القرآن

د. السيد نوح (*)

كلنا يعلم أن القرآن الكريم كتاب الحياة، بدليل قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ (الأنعام)، وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ (الأنفال).

وما دام القرآن كلام الله فهو روحٌ من روحه عز وجل، وقد قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ (الشورى).

والحديث عن دور القرآن في حياة الناس حديث طويل جداً، لكننا سنقتصر هنا على فضائل القرآن والعيش معه.

(*) مقالات لم تنشر لفضيلته يرحمه الله

للقرآن - تلاوةً، وحفظاً، وفقهاً، وعملاً - عدة فوائد، من أهمها:

الفائدة الأولى: أن القرآن إذا كان شاقاً على الإنسان ويصعب عليه فله أجران، وإذا كان سهلاً عليه، فإنما هو مع السفرة الكرام البررة.

في الحديث: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه، وهو عليه شاق فله أجران».

الفائدة الثانية: الذين يقرؤون القرآن قلوبهم عامرة بالسكينة والطمأنينة والأمن والأمان، والذين لا يقرؤونه قلوبهم خاوية.

في الحديث: «الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

ونحن في حاجة إلى الحفظ بأي كم وأي قدر، فقد يحال بين أحدنا وبين المصحف بسبب أو لآخر.

«ابن تيمية» عندما سجنوه منعوه من كل كتبه وحتى المصاحف.. فكان القرآن في صدره، وهو نوره.. وقد قرأ القرآن في سجنه ثمانين مرة، وكتبت له البشرى في آخر حياته رضي الله عنه، وكانت آخر آيات قرأها وبُشِّر بها آخر سورة «القمر» ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)﴾.

الفائدة الثالثة: إن الذين يقرؤون القرآن يوسِّع الله بيوتهم ويحفظها، وتحضرها الملائكة، وتهجرها الشياطين.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال: «إن البيت ليتسع على أهله وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويكثر خيره أن يُقرأ فيه القرآن».

الفائدة الرابعة: إن هذا القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، ويحليه بحلية الكرامة.

في الحديث: «إن هذا القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، ويقول القرآن: يا رب حلِّه حلية الكرامة؛ فيحله حلية الكرامة، ويقول: يا رب اكسه كسوة الكرامة؛ فيكسوه كسوة الكرامة، ويقول: يا رب ألبسه تاج الكرامة؛ فيلبسه تاج الكرامة، ويقول يا رب ارضَ عنه فليس بعد رضاك شيء».

الفائدة الخامسة: إن تلاوة ثلاث آيات أعظم من أن يجد الإنسان في بيته ثلاث نوق سمان (تحلب) تُهدى إليه.

في الحديث: «أيحب أحدكم إذا أتى أهله أن يجد ثلاث خلفات سمان (نوق تحلب)؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، فقال ﷺ: «فثلاث آيات يقرأهن أحدكم خيرٌ له منهنّ».

الفائدة السادسة: جاء في الحديث أن «قارئ القرآن والمتعلم تصلي عليهما الملائكة حتى يختما السورة، فإذا قرأ أحدكم السورة فليؤخر منها آيتيْن حتى يختمها كي تصلي الملائكة على القارئ والمقرئ».. أي يتركا آيتيْن لتظل الملائكة تصلي عليهما، ثم يدخلا في السورة الأخرى.

ويُزاد في هذا الأمر أن على القارئ أو المستمع أن يتركا من كل سورة آيتيْن ولا يختما السورة حتى تظل الملائكة تصلي عليهما وتستغفر لهم، وتُستكمل التلاوة في المصحف كله على هذا الحال.. وعند الختام، يقرأ الآيات التي يتركها في كل سورة، والحكمة من ذلك أن تظل الملائكة تستغفر له وتصلي عليه.

الفائدة السابعة: إن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن (حفظه وعمل به). ففي الحديث: «اقرؤوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن»؛ أي لا تستغنوا عن تلاوة القرآن أبداً ولا تغرنكم هذه المصاحف التي بين أيديكم وأملؤوا به قلوبكم ورطِّبوا به ألسنتكم.. وعلينا أن نحفظ القرآن ولا نعتمد على المصاحف، وأن نظل نحفظ لنستغني في يوم من الأيام عن المصحف.

تلاوة ثلاث آيات منه ثوابها أعظم من أن يجد الإنسان في بيته ثلاث نوق سِمان تهدى إليه

الفائدة الثامنة: أهل القرآن هم أفضل الناس، قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه».

الفائدة التاسعة: الأجر مضاعف، ففي الحديث: «من قرأ القرآن ولم يفقه فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر، فإن فقه بعضه ولم يفقه البعض الآخر فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشرين، فإن فقهه كله فله بكل حرف حسنة والحسنة بثلاثين».

وفي الحديث الآخر: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف..».

الفائدة العاشرة: يقول النبي ﷺ: «من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نور في قلبه».. نور يفرق به بين الحق والباطل، ونور في وجهه، ونور على الصراط يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾(التحريم)، ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ (الحديد).

الفائدة الحادية عشرة: أنه شفاء من كل داء.

يقول ﷺ: «في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء».. كيف هذا الشفاء؟

إمّا أن الإنسان إذا قرأها يشفيه الله فعلاً، وإما يُدل على من ييسر له الشفاء أو طبيب يكون سبباً في الشفاء من المرض.. وقد رأيت أخاً كان وزيراً للعدل في دولة «الإمارات»، وكان عنده ألم في بطنه لم يُشفَ منه أبداً!! وقال: إنه قرأ لابن القيم أن «أم الكتاب (الفاتحة) إذا قُرئت على ماء زمزم سبع مرات، وشربها العبد موقناً بها، شفاه الله من كل داء».

فلا بد من اليقين أن الله هو الشافي، وأن الشفاء ليس في الفاتحة بل هو من عند الله.

فقال: فعلت ذلك، ولم أشتكِ من بطني أبداً بعدها.

الفائدة الثانية عشرة: أنه يحفظ صاحبه من الشيطان.

في الحديث: «ما من بيت تُقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله بريق أو براق»، أي خائف ومرعوب.. فعلينا أن نقرأ بهذه النية، وهي إخراج الشيطان من البيت.

وفي الرواية الثانية: «من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يُقرأ على مجنون إلا أفاق إلا أن يكون قد سبقه من الله قضاء».

ويقول رسول الله ﷺ: «تعلّموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان».. تعلّموا بمعنى: اقرؤوا واحفظوا وافهموا.

«وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر كالرجل الشاحب، فيقول له:

كتاب الله..

- **شفاءٌ من كل داء**
- **يحفظ من الشيطان والدجال**
- **يشفع لصاحبه يوم القيامة ويحلّى بحلية الكرامة**

«قلوب» مَنْ يقرؤونه عامرة بالسكينة والطمأنينة.. و«بيوتهم» يوسّعها الله وتحضرها الملائكة

هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمئتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلتيْن لا يُقوَّم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بمَ كسينا هذه؟ فيُقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يُقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً».

الفائدة الثالثة عشرة: أنه يحفظ من الدجال.

في الحديث: «من قرأ أواخر سورة الكهف أو أوائلها أو قرأها كلها فقد حُفظ من الدجال».

ففيها دعوة للتوحيد والتحمل في سبيل الله، وبالطبع تُقرأ يوم الجمعة إلى الغروب.. في الحديث: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق».

الفائدة الرابعة عشرة: يكون سبباً في بناء أقل شيء قصر في الجنة، وأكثر شيء لا حد له.

في حديث رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بُنِيَ له بها قصر في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بُنِيَ له قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بُنِيَ له ثلاثة قصور في الجنة»، قال عمر: والله يا رسول الله إذاً لتكثرن قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: «الله أوسع من ذلك».

فخزائنه كبيرة وواسعة لا حد لها.. عشر مرات قصر، وعشرون مرة قصران، وثلاثون مرة ثلاثة قصور.■

د. رمضان خميس الغريب (*)

معينات فهم القرآن (٢ من ٣)

حضور القلب والمدارسة وحُسن التلاوة

من معينات فهم القرآن الكريم وأسس الإفادة منه «حضور القلب»، فكيف يفتح القرآن كنوزه لقلبٍ غافلٍ غير يقظان، أو لاهٍ مشغولٍ عن عطائه وفيضه.. إن القلب إذا حضر عند سماع القرآن، أو تلاوته وقراءته، فُتحت أمامه مغاليق الفهم، وتبدّد لديه كسف الظلام، فإذا بنور القرآن يسري في عقله وقلبه وروحه ودمه؛ فيجعله إنساناً آخر؛ إنساناً قرآنياً يتحرك بالقرآن في شغله ومحياه، ومصبحه وممساه.. تتماسك أمامه القيم، ولا تنفلت من بين يديه المعايير، وقد كان للسلف الصالح مع القرآن أحوالٌ تحتاج منّا إلى وقفات؛ حيث كانوا وقّافين عند كلام الله، حضورَ قلبٍ، ويقظةَ فؤاد.

سلامة التلاوة طريق إلى الفهم الصحيح.. وإتقان الأداء باب موصّل إلى التدبر والتفكر

وقد ذُكر في قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾(مريم:١٢)؛ أي بجد واجتهاد، وأخذه بالجد: أن يكون مجرداً له عند قراءته، منصرف الهمة إليه عن غيره، وقد قيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن، هل تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيئاً أحب إليَّ من القرآن حتى أحدث به نفسي؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية، وهذه الصفة تتولد عن صفة التعظيم لكلام الله تعالى؛ فإن المعظِّم للكلام الذي يتلوه يستبشر به، ويستأنس له ولا يغفل عنه، وفي القرآن ما يستأنس به القلب، إن كان من يتلوه أهلاً له، فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزهٍ عنه؟! والذي يتفرج في المتنزهات لا يفكر في غيرها، فقد قيل: «إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضاً وخانات، فإذا دخل القارئ الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديابيج، وتنزه في الرياض، وسكن غرف الخانات، استغرقه ذلك، وشُغل به عما سواه، فلم يعزب قلبه، ولم يتفرق فكره»[١].. وهو توصيف راقٍ من «حُجّة الإسلام» لحضور القلب ويقظته، وعدم مبالاته بما سوى القرآن أو الاعتناء بما عداه.

المدارسة

وهي صورة من صور الرغبة في تفهُّم القرآن الكريم، والوقوف على حروفه وحدوده، واستنباط حكمه وأسراره، وقيمه ومعانيه، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ، ورغّب فيه بقوله: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا غشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

والمدارسة لون من ألوان اختزال الفكر، واستدعاء المعاني والاجتماع على مائدة قرآنية واحدة، يقطف منها أصحاب ثقافات متعددة، يأخذون منها ما تطيب به نفوسهم، وتصح به عقولهم، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يتدارسون القرآن، ويعيشون حوله بل به.. وما أسئلة عمر الفاروق رضي الله عنه لأصحابه عن معنى «التخوف» ومفاد سورة «النصر» وغيرها منا ببعيد.

فهذه المدارسة تعين على توقد الذهن، وحضور العقل، وتكامل الفكر؛ حتى يفيد المتدارسون للقرآن أكبر فائدة، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الدراسة صلاة»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «تذاكُر العلم بعض ليلة أحبُّ إلي من إحيائها»، ونُقل عن ابن القيم قوله: «ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها، فالمذاكرة بها لقاح العقل»[٢].

وقد كان النبي ﷺ يدارس أصحابه، فهذه أمنا عائشة – رضي الله عنها- تدارس النبي ﷺ وتسأله، فعن ابن أبي مليكة أن: «عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تفهمه إلا راجعت فيه حتى تفهمه»، وأن النبي ﷺ قال: «من حوسب عُذِّب»، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: فقلتُ أليس الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾(الانشقاق)، فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يُناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب».

يقول ابن حجر في الفتح: «وفي الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهُّم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من مراجعة العلم، وفيه جواز المناظرة ومقابلة السُّنة بالكتاب، وقد وقع ذلك لغير عائشة»[٣].

صدق الطلب

ولاشك أن صدق القلب والإخلاص

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك، جامعتا الأزهر وحائل

كتاب الله لا يفتح كنوزه لقلب غافل غير يقظان أو لاه مشغول عن عطائه وفيضه

المدارسة تؤدي إلى الوقوف على حروفه وحدوده واستنباط حِكَمه وأسراره واستدعاء قيمه ومعانيه

والإلحاح في طلب الفهم طريق موصِّل إلى المراد، فإنهم قالوا: مَنْ أكثر من الطَّرق أوشك أن يُفتح له، قال شيخ الإسلام «ابن تيمية» يرحمه الله: «من تدبر القرآن طالباً الهدى فيه تبين له طريق الحق»[٤]، ولِمَ لا والقرآن لا يرضى بأن يكون له من الناس فضل الأوقات، ولا فضل العزمات، وإنما يرضى بأن تعطيه كلك حتى يكشف لك عن بعض كنوزه وعطاياه.. ومن صدق الطلب إدامة النظر فيه، والتفكر في كلماته ومراميه.

سلامة التلاوة

إن سلامة التلاوة طريق إلى سلامة الفهم، وإتقان الأداء باب موصِّل إلى التدبر والتفكر، والترسل في القرآن بترتيل وترتيب معين من معينات الفهم، ولأمرٍ ما كان جبريل - عليه السلام - يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي تُوفِّي فيه ﷺ عارضه بالقرآن مرتين.. ولذلك، قال السيوطي في إتقانه: إن «التحقيق يكون للرياضة والتعلم والتمرين، والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط»[٥].

ولاشك أن الترسل في القراءة والتمهل بها يعين على فهم القضية المترابطة، والمعنى الواحد الذي لا يكتمل إلا باكتمال جزئياته، وقد استحب العلماء الترتيل لأنه معين على الفهم، كما ذكر «حُجّة الإسلام» ذلك في إحيائه وهو يعدد آداب القراءة، فيقول: «الخامس: الترتيل، وهو مستحب في هيئة القرآن؛ لأن المقصود من القراءة التفكر، والترتيل معين عليه، ولذلك نعتت أم سلمة -رضي الله عنها- قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً، حرفاً».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحبُّ إليَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً».. وسُئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة وكان قيامهما واحداً، إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله، قال: «هما في الأجر سواء».

كما أن القراءة بترتيب تعين أيضاً على الفهم والتدبر، وذلك للترابط الموضوعي الذي هو لون من ألوان الإعجاز القرآني، فإن كل آية مع أختها تمثل ربطاً بديعاً ورصفاً محكماً يضيع جماله بتقطيعه، وكل آية مع أختها لُحمة واحدة؛ تمهد السابقة للاحقة، وتؤكد اللاحقة على السابقة في تناغم واتساق، وكذلك ترتيب السور بعضها بعد بعض لحكمة وغاية، حتى قال الإمام النووي يرحمه الله: «الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها.. ويُستحَّب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها، ودليل هذا ترتيب المصحف، إنما جُعل هذا لحكمة ينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشروع باستثنائه؛ كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة السجدة، وفي الثانية سورة الإنسان ونحو ذلك»[٦].

هذا وقد سار أصحاب النبي ﷺ على منهاجه في الترسل والتريث في القراءة والترتيب كذلك، حتى أنكر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على «نهيك بن سنان» سرعته في القراءة حين قال: قرأت المفصَّل البارحة، فقال ابن مسعود: هذّاً كهذِّ الشعر.

وخلاصة القول: إن الترسل في القراءة يؤدي إلى ضبط معانيها وإدراك أهدافها، والترتيب فيها يؤدي إلى ترابط أهدافها وظهور مقاصدها واتضاح معانيها واكتمال فكرتها في ذهن القارئ والسامع.■

الهوامش

(١) إحياء علوم الدين: ج١، ص ٣٩٤ و٣٩٥، بيروت، ط أولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
(٢) مفتاح دار السعادة: ص٢١٧.
(٣) فتح الباري: ج١، ص١٩٧، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
(٤) مجموع الفتاوى: ج٣، ص١٣٧.
(٥) الإتقان: ١/ ١٠٠ المكتبة الثقافية، بيروت، بدون تاريخ.
(٦) التبيان في آداب حملة القرآن: ص٦٢ و٦٣.

إعجاز القرآن في رسائل النور (٢ من ٦)

أدب القرآن الكريم

أ.د. حلمي محمد القاعود (*)

إذا تناولنا بالتحليل أدب القرآن الكريم فإننا نجده لا يحرك ساكن الهوى، ولا يثيره، بل يمنح الإنسان الشعور بنُشدان الحق وحبه، والافتتان بالحسن المجرد، وتذوق عشق الجمال، والشوق إلى محبة الحقيقة.. ولا يخدع أبداً. فهو لا ينظر إلى الكائنات من زاوية الطبيعة، بل يذكرها صنعة إلهية، صبغة رحمانية، دون أن يحير العقول، فيلقن نور معرفة الصانع.. ويبين آياته في كل شيء[١].

الأدب الغربي يخاطب الغريزة أكثر مما يخاطب الروح ويخلف حزناً يورث الكآبة والهم

أما أدب القرآن فيمنح صاحبه حزناً شفافاً سامياً يرقى بالروح إلى الصفاء والنقاء

ويشير «بديع الزمان سعيد النورسي» إلى نقطة ذكية، ربما تبدو غير مسبوقة، وهي أثر كل من الأدبين القرآني والغربي في النفس الإنسانية، فالأدب الغربي، لأنه قاصر وحسي، ويخاطب الغريزة أكثر ما يخاطب الروح والنفس والوجدان، فإن ما يخلفه من حزن يورث الكآبة والهم والألم، أما أدب القرآن فإنه يمنح صاحبه حزناً شفافاً سامياً، يرقى بالروح إلى المثال والصفاء والنقاء، ويوضح النورسي الفارق بين الحزنين في هذا الأداء الراقي الذي تبسطه كلماته التالية:

الأدبان «الغربي وأدب القرآن».. كلاهما يورث حزناً مؤثراً، إلا أنهما لا يتشابهان.

فما يورثه أدب الغرب هو حزن مهموم، ناشئ عن فقدان الأحباب، وفقدان المالك، ولا يقدر على منح حزن سام رفيع.

إذ استلهام الشعور من طبيعة صماء، وقوة عمياء يملؤه بالآلام والهموم، حتى يغدو العالم مليئاً بالأحزان، ويلقي الإنسان وسط أجانب وغرباء دون أن يكون له حام ولا مالك! فيظل في مأتمه الدائم.. وهكذا تطفأ أمامه الآمال.

- أما أدب القرآن الكريم:

فإنه يمنح حزناً سامياً علوياً، ذلك هو حزن العاشق، لا حزن اليتيم.. هذا الحزن نابع من فراق الأحباب، لا من فقدانهم.

ينظر إلى الكائنات؛ على أنها صنعة إلهية، رحيمة بصيرة بدلاً من طبيعة عمياء، بل لا يذكرها أصلاً وإنما يبين القدرة الإلهية الحكيمة، ذات العناية الشاملة، بدلاً من قوة عمياء.

فلا تلبس الكائنات صورة مأتم موحش، بل تتحول - أمام ناظريه - إلى جماعة متحابة، إذ في كل زاوية تجاوب، وفي كل جانب تحابب، وفي كل ناحية تآنس.. لا كدر ولا ضيق.. هذا هو شأن الحزن العاشقي.

وسط هذا المجلس يستلهم الإنسان شعوراً سامياً، لاحزناً يضيق منه الصدر، ولا يتوقف الأمر على إحساس الحزن الذي يخلفه كل من الأدبين، فهناك أيضاً أثر للشوق والفرح.. ولكن أي شوق، وأي فرح؟ يقول «النورسي»: الأدبان كلاهما يعطيان شوقاً وفرحاً، فالشوق الذي يعطيه ذلك الأدب الأجنبي؛ شوق يهيج النفس، ويبسط الهوس.. دون أن يمنح الروح شيئاً من الفرح والسرور.

بينما الشوق الذي يهبه القرآن الكريم؛ شوق تهتز له جنبات الروح، فتعرج به إلى المعالي[٢].

الإعجاز ولغة العصر

وقد يرى بعض الباحثين أن المقارنة بين الأدبين الغربي والقرآني غير ذات صلة بموضوع الإعجاز القرآني، ولكن ذكاء «النورسي» يذهب بعيداً حين يؤصل لمفهوم الإعجاز بما يتلاءم مع لغة الواقع والعصر، فالأدب بصفة عامة تعبير، ولكن التعبير القرآني يختلف عن أي تعبير آخر، سواء في الماضي البعيد؛ حيث نزل القرآن في بيئة تعلم جيداً أن الأدب قيمة تعبيرية، ذات تأثير على الناس.. وفي هذه البيئة وصل تأثير التعبير الأدبي إلى حد أن تولم القبيلة العربية حين ينبغ فيها شاعر، وتتيه على بقية القبائل لشاعرها النابغة وخطيبها المفوه، وحين ينزل القرآن الكريم متحدياً ومعجزاً في مجال التعبير فإن الأمر يعني أشياء كثيرة.

وكذلك الأمر في البيئة الغربية التي هي

(*) أستاذ الأدب والنقد

أقرب إلى بيئة «بديع الزمان النورسي»، حيث يهيمن التعبير الأدبي الغربي من قصص وروايات وأشعار ومسرح وغيره على الذائقة الأدبية والوجدانية هناك، ويجد مساحة اهتمام غير مسبوقة لدى من يقرؤون ويكتبون، وهنا يكون للمقارنة بين التعبير القرآني وأدبه من ناحية وبين التعبير الأدبي الغربي المهيمن والمسيطر من ناحية أخرى ضرورة كبرى، تكشف عن إعجاز القرآن من الناحية المعنوية، بعد أن أخفقت عملية ترجمته إلى لغة أخرى غير اللغة العربية؛ حيث صار المتاح عملياً هو ترجمة المعاني، وهي ترجمة تختلف من شخص إلى آخر، ولا تستوعب معطيات اللغة العربية ودلالاتها مهما كانت براعة المترجم، مما يؤكد إعجاز القرآن الكريم، وهو ما أشار إليه «النورسي» في مفتتح البحث.

وقد تناول «النورسي» قضية الإعجاز في معظم «رسائل النور» ومجلداتها الضخمة، وقد قصر واحداً منها على قضية الإعجاز، وإن كان يسمي بعض عمله فيه تفسيراً لآيات، وهو كلام صحيح إلى حد ما، ولكنه يأتي في إطار القضية الكبرى وهي إعجاز القرآن الكريم.

مثال من سورة الفاتحة

لقد خصص كتابه أو واحداً من مجلدات «رسائل النور» واسمه «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»، ليتناول مجموعة كبيرة من الآيات، يطرح من خلال تفسيرها وما تحمله من أبعاد دلالية ومعنوية قد لا يراها كثير من الناس صوراً من إعجاز التعبير القرآني، مع تركيزه على قضية النظم، كما عرفت لدى الإمام «عبدالقاهر الجرجاني»، ويضرب مثالاً على ذلك من خلال سورة الفاتحة، فيقول: «اعلم أن نظم دُر القرآن ليس بخيط واحد بل النظم - في كثير - نقوش تحصل من نسج خطوط نسب متفاوتة قرباً وبعداً، ظهوراً وخفاءً. لأن أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش، ففي آيات سورة الفاتحة، مثلا:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يناسب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأن النعمة قرينة الحمد..

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأن كمال التربية بترادف النعم...

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأن المنعم عليهم - أعني الأنبياء والشهداء والصالحين - رحمة للعالمين ، ومثال ظاهر للرحمة..

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لأن الدين هو النعمة الكاملة..

﴿نَعْبُدُ﴾ لأنهم الأئمة.. «يقصد الأئمة في العبادة»

﴿نَسْتَعِينُ﴾ لأنهم الموفقون..

﴿اهْدِنَا﴾ لأنهم الأسوة بسر ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(سورة الأنعام).

﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لظهور انحسار الطريق المستقيم في مسلكهم، هذا مثال لك.. فقس عليه [٣].■

الشوق الذي يعطيه الأدب الغربي يهيج النفس دون أن يمنح الروح شيئاً من الفرح والسرور

بينما الشوق الذي يهبه القرآن الكريم تهتز له جنبات الروح فتعرج به إلى المعالي

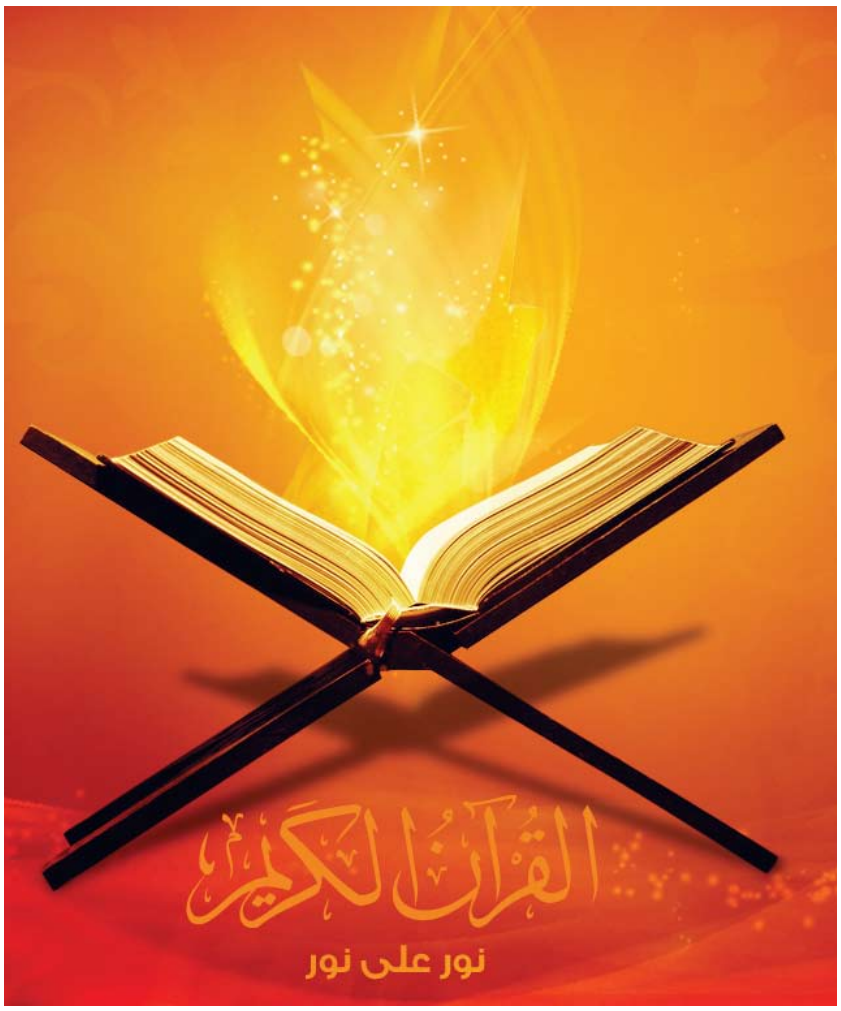

الهوامش

(١) الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط ٢، دار سوزلر، القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

(٢) «ملحق قسطموني ١٨٩-١٩٠».

(٣) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز - ترجمة إحسان قاسم صالحي، ط ٢، دار سوزلر، القاهرة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م «ص ٣٣-٣٤».

رد افتراءات «الجابري» على القرآن الكريم (٢من٣)

موقفه من «التراث»

د. محمد عمارة (*)

سبق أن أشرنا إلى بحث «د. محمد عابد الجابري» الذي قدّمه إلى ندوة «الحوار القومي الديني»، التي عقدها «مركز دراسات الوحدة العربية» في ٢٥ - ٢٧ سبتمبر عام ١٩٨٩م، وإلى الخلاف الذي حدث بيني وبينه حول مقولته: «العودة إلى التراث واستيعابه لتجاوز كل التراث»، وكيف أنني اعترضت بشدة على الدعوة إلى «تجاوز كل التراث»، وهو ما لم تفعله أمة أو حضارة لها تراث، فضلاً عن أن تكون هذه الأمة والحضارة هي الأمة الإسلامية، التي تميّز تراثها بصبغة إسلامية صنعتها المعايير التي جاء بها ديننا الحنيف.

تبنّى منهجاً صادماً يسعى إلى تفكيك كل شيء في ميراثنا العربي بما في ذلك الدين والثوابت!

وكأن «الجابري» قد أخذ بتسليط الضوء على مقولته تلك، التي لا تُحيي التراث، ولا تقف عند نقده أو الانتقاء منه مع تجاوز بعضه، وإنما تقيم قطيعة مع هذا التراث، الأمر الذي يقيم فراغاً في مساحات الماضي، يؤدي - حتماً - إلى أن يملأه الآخرون.

وتلك هي التجربة المُرّة والمأساوية لأمتنا - ولغيرها من الأمم - التي ابتُليت بالتغريب الذي جاءنا في ركاب الغزاة الأوروبيين.. فالقطيعة مع اللغة القومية أحدثت الفراغ الذي ملأته اللغات الأوروبية، والقطيعة مع الفلسفة الإسلامية (علم التوحيد) ملأت فراغنا بالفلسفات الأوروبية الوضعية والمادية اللادينية، والقطيعة مع الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية ملأت فراغنا بالقوانين الوضعية الأوروبية اللادينية.

تجاوز وقطيعة

وهكذا كانت القطيعة مع التراث - أي «تجاوزه» بعبارة «الجابري» - السبيل إلى أن نستبدل تراث الغزاة بتراثنا؛ لأنه لا يمكن لأمة من الأمم أن تعيش بدون تراث، وأن تترك ماضيها ومرجعيتها «فراغاً».. فالفراغ في العلم مستحيل الوجود!.. وكما قال أحد العارفين بالله: «القلب كالإناء، إن لم يملأه ماء الحكمة والمعرفة، ملأه هواء الجهل والعصيان»! وماضي الأمة مثل قلبها، إن لم يملأه تراثها بخصوصياته المتميزة ملأه تراث الآخرين الغرباء!

لكنّ.. رغم هذه الحقيقة التي تبلغ حد البداهة، مضى «الجابري» في مشروعه الفكري - رغم «وطنيته» و«قوميته» - في طريق الدعوة إلى «تجاوز كل التراث»! فقال في كتابه «حوار الشرق والغرب»: «إن الحداثة تبدأ باحتواء التراث وامتلاكه؛ لأن ذلك وحده هو السبيل إلى تدشين سلسلة من «القطائع» معه إلى تحقيق تجاوز عميق له، إلى تراث جديد نصنعه، تراث جديد فعلاً..»[١] فالتجاوز للتراث عند «الجابري» هو تجاوز عميق!

نقض منهجي

وقال كذلك في كتابه «إشكالية الفكر العربي المعاصر»: «إن الإبداع، بمعنى التجديد الأصيل، لا يتم إلا على أنقاض قديم وقع احتواؤه وتمثّله وتجاوزه بأدوات فكرية معاصرة..»[٢].

ولم يدع «الجابري» مجالاً للغموض حوله تحديد ماهية هذه «الأدوات الفكرية المعاصرة» التي دعا إلى اتخاذها واستخدامها لتجاوز كل تراث الإسلام، بل أعلن الرجل في كتابه «الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحقيقية نقدية» أن الآليات الغربية هي سبيله لتحويل تراثنا الإسلامي إلى «أنقاض» وإلى تجاوز هذه «الأنقاض» كلها على نحو عميق!

ونص عبارته: «سيلاحظ القارئ أننا نوظف مفاهيم تنتمي إلى فلسفات أو منهجيات أو قراءات مختلفة متباينة، مفاهيم يمكن الرجوع ببعضها إلى «كانت» (١٧٢٤-١٨٠٤م)، أو «فرويد» (١٨٥٦ - ١٩٣٩م)، أو «باشور» (١٨٨٤ - ١٩٦٢م)، أو «ألتوسير» (١٩٢١ - ١٩٩٠م)، أو «فوكون» (١٩٢٦ - ١٩٨٤م)، بالإضافة إلى عدد من المقولات الماركسية، التي أصبح الفكر المعاصر لا يتنفس بدونها»[٣].

تلك هي المفاهيم والمناهج التي اعتمدها «الجابري»، واستخدمها لتحويل تراث الإسلام إلى «أنقاض»، وذلك لتجاوز هذه «الأنقاض»!

صحيحٌ - كما قال - أن هناك تبايناً بين هذه المفاهيم والمناهج، لكن الجامع بينها جميعاً هي أنها غربية! وأنها قد أقامت قطيعة معرفية كبيرة بين الحداثة الأوروبية وبين التراث الديني على وجه الخصوص!

(*) مفكر إسلامي

دعا في مشروعه الفكري إلى تدشين سلسلة من القطائع مع التراث ثم تجاوزه إلى تراث جديد مغاير

أكد في كتاب «الخطاب العربي المعاصر» أن الآليات الغربية هي سبيله لتحويل التراث الإسلامي إلى «أنقاض»!

ويمضي «الجابري» في هذا الطريق عن «ضرورة الأخذ بالحداثة الأوروبية في مختلف الميادين»[٤]!

تحليل البنية

ولأنه تحدّث كثيراً في مشروعه الفكري عن «بنية التراث»، و«تحليل هذه البنية»، و«تفكيكها».. فقد تكرّم على قرائه فصارحهم وأوضح لهم مقاصده من وراء هذه المصطلحات، فإذا هذه المقاصد هي «تحليل بنية التراث للقضاء عليه، ونسخ ثوابت الهُوية، بما فيها الدين»!

وحتى لا يتوهم القارئ أننا نبالغ في تصوير مقاصد الرجل أو «نؤوِّل» كلامه، فإننا نقدم عباراته هو، التي يقول فيها: «كيف نتحرر من سلطة التراث علينا؟ تلك هي مهمة المنهج الذي نقترحه، إنه منهج تحليلي.. بمعنى تحليل البنية.

إن تحليل البنية معناه القضاء عليها، بتحويل ثوابتها إلى تحولات ليس غير، وبالتالي التحرر من سلطتها وفتح المجال لممارسة سلطتنا عليها، هذا النوع من التحليل هو ما أسميه «بالتفكيك».. تفكيك العلاقات الثابتة في بنية ما يهدف تحويلها إلى بنية، إلى مجرد تحولات، وهذا يندرج تحته، كما هو واضح، تحويل الثابت إلى متغير، والمطلق إلى نسبي، واللاتاريخي إلى تاريخي، واللازمني إلى زمني»[٥].

هكذا، نجد أنفسنا أمام المنهج التفكيكي «الصارم والصادم»!، الذي يستخدم «التفكيك العبثي والعدمي» لما بعد الحداثة.. تفكيك كل شيء في ميراثنا الإسلامي، بما في ذلك «المطلق» (الدين)، واللاتاريخي (الثوابت)، واللازمني (الخالد).. تفكيك كل ذلك؛ بتحويل المطلق إلى نسبي، واللاتاريخي إلى تاريخي، واللازمني إلى زمني.. كل ذلك للتحرر من هذا التراث، وتحويله إلى أنقاض، وتجاوزه كله.. لا إلى المجهول، وإنما إلى البضاعة الجاهزة المعلَّبة التي تزاحم بضاعتنا، وتحاول أن تغلبنا على هُويتنا منذ قرنيْن من الزمان!

نفق مظلم

و«الجابري» - وتلك فضائله - لا يدع مجالاً للبس في تحديد مقاصده من وراء مشروعه لنقد التراث وتفكيك بنيته.. فهو، في النص الذي سقناه للتو، قد أعلن أن التفكيك والتجاوز لا يستثني الدين «المطلق» و«اللاتاريخي» و«اللازمني» الذي سبق وأخرجه من إطار التراث.. ولذلك رأيناه يلحُّ على هذه الفكرة الشاذة التي سبق وقدمها التنويريون الغربيون إزاء تراث الغرب الديني (اليهودية والنصرانية) عندما استبدلوا - بالتأويل - «دين الحداثة الطبيعي» بالدين الإلهي!

لا يدع «الجابري» مجالاً للبس في أنه يسير - بإزاء الإسلام - في هذا الطريق، ويسعى ليدخل بنا في هذا النفق المظلم، الذي تعاني منه أوروبا في هذه الأيام، بعد أن ضلت «الحداثة المسيحية»، ثم عجزت عن أن تجيب على الأسئلة الأبدية للإنسان، وعن أن تمنحه طمأنينة الإيمان الديني، وفقدت أوروبا «فراغاً دينياً»، تتمدد فيه - لتملأه - مختلف العقائد؛ بما في ذلك الإسلام.

وبعبارة القس الألماني عالم الاجتماع «زد. جوهر إيدكومزلن»: «لقد مثلت العلمنة: تراجعَ السلطة المسيحية، وضياع أهميتها الدينية، وتحوّل معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية، والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية، وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين».

لقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي، وجاءت ثمرةً لصراع العقل مع الدين وانتصاره عليه؛ باعتباره مجرد أثرٍ لحقبة من حقب التاريخ البشري، يتلاشى باطراد في مسار التطور الإنساني.

ومن نتائج العلمانية: فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً، وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم، بل وزوال أهميته أيضاً كقوة موجبة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكل عام.. فلسفة الدولة - وليست الحقيقة - هي التي تصنع القانون، وهي التي تمنح الحرية الدينية.

وقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها ديناً حل محل الدين المسيحي، يفهم الوجود بقوى دنيوية، هي العقل والعلم.

لكنّ.. بعد تلاشي المسيحية سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان التي كان الدين يقدم لها الإجابات، فالقناعات العقلية أصبحت مفتقرة إلى اليقين، وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها، بل وتفككت أنساقها العقلية والعلمية؛ فدخلت الثقافة العلمانية في أزمة، بعد أن أدخلت الدين المسيحي في أزمة.. فالإنهاك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلماني الحديث، وتحققت نبوءة «نيتشه» (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) عن «إفراز التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون «تجمّعهم» الذي فوقهم، ويحيون حياة تافهة، ذات بعد واحد، لا يعرف الواحد منهم شيئاً خارج نطاقه».. وبعبارة «ماكس غير» (١٨٦٤ - ١٩٢٠م): «لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم»!

أهداف ومقاصد

ولأن الاهتمام الإنساني بالدين لم يتلاشَ بل تزايد، وفي ظل انحسار المسيحية، انفتح

باب أوروبا لضروب من الروحانيات وخليط من العقائد الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة؛ من التنجيم إلى عبادة القوى الخفية والخارقة، والاعتقاد بالأشباح، وطقوس الهنود الحمر، وروحانيات الديانات الآسيوية، والإسلام الذي أخذ يحقق نجاحاً متزايداً في المجتمعات الغربية.

لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا، ثم عجزت عن تحقيق سيادة «دينها» العلماني مع الإنسان الأوروبي، عندما أصبح معبدها العلمي عتيقاً.. ففقد الناس «النجم» الذي كانوا به يهتدون: «وعد الخلاص المسيحي.. ثم وعد الخلاص العلماني»![٦].

هذا هو الطريق أو النفق المظلم الذي أدخل التنوير الغربي أوروبا والمسيحية فيه، والذي مثّل كارثة قاتلة للمسيحية، ثم للعلمانية أيضاً.

ولا يدع «د. الجابري» مجالاً للبس في أنه يسير في هذا الطريق البائس، وإلى هذا النفق المظلم؛ فيقول: «ينبغي تحويل العقيدة إلى رأي..»![٧].. ثم يزيد الطين بلة، عندما يعلن أن دعوته تلك إلى تجاوز كل التراث والتحرر منه، لا تقف عند العقيدة وهي أم الثوابت وأس القواعد في دنيانا وآخرتنا.. وإنما يضيف إليها كلَّ الثوابت التي تجعل منا أمة متميزة حضارياً، وذات مناعة تجعلها مستقصية على اجتياح التغريب الذي يسعى إلى نسخ ومسخ وتشويه ثوابت الهوية، التي تأسست على قواعد الإسلام.. فيقول: «... اللغة والشريعة والعقيدة والسياسة، في الماضي والحاضر، هي العناصر الرئيسة التي تتكون منها المرجعية التراثية، التي قلنا: إنه لا سبيل إلى تجديد العقل العربي إلا بالتحرر منها»![٨].

ولم يقل لنا «الجابري» - عفا الله عنه - من الذي سيصنع لنا البديل عن هذه العناصر الرئيسة التي تتكون منها مرجعيتنا التراثية، وإن كان قد سبق وأعلن عن منهجية صناعة هذا «البديل»؛ منهجية: «كانت» و«فرويد» و«باشلاء» و«ألتوسير»، و«فوكون» و«كارل

د. محمد عابد الجابري

طالب بالتحرّر من عناصر المرجعية التراثية.. ومن بينها العقيدة والشريعة واللغة والسياسة!

لم يَدَعْ مجالاً للّبس في تحديد مقاصده من وراء مشروعه لنقد التراث وتفكيك بنيته!

ماركس» (١٨١٨ - ١٨٨٣م).. فلم يدع الرجل مجالاً للشك في نوعية المقاصد التي سعى إليها من وراء نقده وتفكيكه لتراث الإسلام.

قطيعة معرفية

لقد أقامت الحداثة الغربية - التي دعا «الجابري» إلى «ضرورة الأخذ بها في مختلف الميادين» - أقامت قطيعة معرفية كبرى مع موروثها الديني «اليهودي.. النصراني»، لكنها أحيت وجددت مواريثها الإغريقية الرومانية؛ في الفلسفة والقانون والعلوم والآداب والفنون، وأسست نهضتها الحديثة على «كلاسيكية» هذه المواريث.. أي إنها لم تُقِمْ

في كتابه «تكوين العقل العربي».. قال: «ينبغي تحويل العقيدة إلى رأي»!!

قطيعة مع كل مكونات مرجعيتها التراثية.. أما «الجابري»، فإنه - وبنصوص عباراته - قد دعا إلى «تدشين سلسلة من القطائع مع العناصر الرئيسة التي تتكون منها المرجعية التراثية.. بما في ذلك: اللغة والشريعة والعقيدة والسياسة»!

وهكذا.. فبرغم «عروبة الرجل» و«قوميته العربية»، إلا أنه وضع اللغة ضمن العناصر المطلوب «التحرر منها»!.. ورغم إسلام الرجل، فقد وضع «العقيدة والشريعة» في هذا الإطار أيضاً!

ويبدو - والله أعلم - أنه قد حسب كل ذلك من صناعة «الأعراب»، عندما قال: «إن الأعرابي هو صانع العقل العربي»![٩].. فدعا - سامحه الله - إلى إلقاء كل ذلك في سلة مهملات التاريخ!.. وهي دعوة لا أظن أنه قد سبقه إليها أحد من الحداثيين والعلمانيين، اللهم إلا «سلامة موسى» (١٨٨٨ - ١٩٥٨م) على وجه التحديد[١٠].■

الهوامش

(١) «حوار الشرق والغرب»، ص٦٧، الدار البيضاء، ١٩٩٥م.
(٢) «إشكالية الفكر العربي المعاصر»، ص٤١، الدار البيضاء، عام ١٩٨٩م.
(٣) «الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية»، ص ١٢، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.
(٤) «المشروع النهضوي العربي»، بيروت، ٢٠٠٠م.
(٥) «التراث والحداثة»، ص٤٧ و٤٨، الدار البيضاء، ١٩٩١م.
(٦) «مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا»، «جو تزايد كونزلن»، ص ١٧ و١٨، تقديم وتعليق: د. محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩م.
(٧) «تكوين العقل العربي»، ص٥، بيروت، ١٩٨٥م.
(٨) المرجع السابق، ص ٣٣٢
(٩) المرجع السابق، ص ٧٥
(١٠) «اليوم والغد»، سلامة موسى، القاهرة، ١٩٢٨م.
وانظر: كتابنا «الإسلام بين التنوير والتزوير»، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥م.

تفسير
د. عمر الأشقر للقرآن الكريم

أكذب الله في هذا النص الذين زعموا أن الله اتخذ ولداً، وساق الدليل على كذبهم، وأخبرنا ربنا في الآية الأخيرة من هذا النص عن تعنت الكفرة المشركين من العرب فيما طلبوه من الآيات والدلائل، فتشابهت قلوبهم فيما اقترحوه مع قلوب الذين كفروا من قبل.

سورة «البقرة» ٣٠

النص القرآني الثالث والعشرون
تكذيب الله الذين ادَّعوا أنه اتخذ ولداً

آيات هذا النص من القرآن الكريم

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)﴾(البقرة).

المعاني الحسان في تفسير هذه الآيات

١- إبطال الله قول الذين زعموا أنَّ الله اتخذ ولداً: زعم كثير من الناس في القديم والحديث أنَّ الله اتخذ ولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾.

ومن هؤلاء: اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، ومشركو العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

وقد نزَّه الباري - عزَّ وجلَّ - نفسه عن هذه النقيصة الشنيعة، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾، والتسبيح: التنزيه لله عن كل النقائص والعيوب، وقد ورد في الحديث الصحيح أن نسبة الولد إلى الله مسبَّة للباري تبارك وتعالى، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأمَّا تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأمّا شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً»(البخاري، ٤٤٨٢).

وقد أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - بعظم جريمة الذين ادعوا هذه الدعوى فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١)﴾(مريم).

وجاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس أحد، أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم»(البخاري، ٦٠٩٩، ومسلم، ٢٨٠٤، واللفظ للبخاري).

٢- الدليل على عدم صحة قول هؤلاء: ردَّ الله تبارك وتعالى على هذا الزعم الكاذب من الأمم السابقة والمعاصرة، قائلاً: ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)﴾.

افترى اليهود والنصارى وعرب الجاهلية أعظم الكذب على الله تعالى عندما نسبوا إليه الولد.. سبحانه وتعالى عما يقولون

أخبرنا ربنا - عزَّ وجلَّ - في ردّه على من افترى هذه الفرية أنه سبحانه السيد العظيم الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وهما ملكه يصرفهما كيف يشاء، ومن جملة ما فيهما العزير، وعيسى ابن مريم، والملائكة وغيرهم مما نسبه الكفار إلى الله، وكل السماوات والأرض وما فيهما قانت لله، أي طائع خاضع لله عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (٢٦)﴾(الروم).

إنَّ نسبة الولد إلى الله تنافي وحدانية الله تبارك وتعالى، فالله واحد في ذاته، وواحد في صفاته وأسمائه، ليس له مثيل، وليس له شبيه، ولا نظير، ودعوى أن الله اتخذ ولداً، تعني أن له صاحبة مثله، ولو كان الله اتخذ ولداً، لكان الولد جزءاً من أبيه، أي لأصبح إلهاً معبوداً، وكل ذلك كذب وباطل من القول، وقد أنزل الله سورة عظيمة قررت الوحدانية والصمدية لله، ونفت عنه أن يكون له والد أو ولد، كما نفت عنه أن يكون له نظير أو مثيل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (الإخلاص).

إن هذه الدعوة التي يدّعيها الظالمون دعوى هزيلة، تجعل المخلوق المربوب المألوه جزءاً من الخالق العظيم، وسيظهر لهؤلاء كذبهم في يوم الدين عندما يسوق الله العباد جميعاً للحساب: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾(مريم)، ومما يدلُّ على كذب من ادعى هذه الدعوى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (١٥)﴾(الرعد).

وأخبرنا ربنا - عزَّ وجلَّ - في ردِّه على من ادَّعى هذه الفرية العظيمة أنه سبحانه وتعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧)﴾.

والمراد «ببديع» في قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: أي مكونهما على غير مثال سابق، ومن جملة ما كوَّنه وأبدعه ما جعلوه - كذباً وزوراً - ابناً لله تعالى، مثل العزير والمسيح والملائكة.

وأخبرنا تبارك وتعالى أن هؤلاء الذين نسبوهم إلى القهار الجبار خُلقوا كما خُلق غيرهم، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧)﴾، فالله إذا أراد إيجاد شيء فإنه يقول له كلمة واحدة، وهي ﴿كُن﴾ فيكون كما يريده الله رب العالمين.

فالله لا يعجزه شيء، ولا يستعصي عليه شيء، وكل شيء أمره الله أن يكون، فإنه يكون كلمح البصر: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)﴾(يس)، وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٠)﴾(النحل)، وقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ (القمر)، وقال مبيناً كيف خلق الله عيسى وآدم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩)﴾(آل عمران).

٣- تعنُّت مشركي العرب فيما طلبوه كي يؤمنوا: أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - بما طلبه مشركو العرب كي يؤمنوا ويستجيبوا للرسول ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)﴾.

تعنَّت مشركو العرب فيما يطلبونه كي يؤمنوا.. فقد طلبوا أن يخاطبهم الله تعالى معلماً إياهم أو ينزّل عليهم من السماء آية عظيمة.. متشبهين ببني إسرائيل مما يدل على تشابه قلوبهم

والذين لا يعلمون هم مشركو العرب، سموا بذلك لأنّه ليس لهم كتاب مثل كتاب اليهود والنصارى، وقوله: ﴿لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: أي: هلاَّ يكلمنا الله، فـ«لولا» حرف تحضيض.

وقد أخبرنا الله - تبارك وتعالى - في مواضع أخرى عن آيات طلبوها، فقال: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣)﴾(الإسراء).

وهذه الآيات ونظائرها تدلُّ على عظيم كفر مشركي العرب، ومدى عُتُوّهم وعنادهم، وسؤالهم عما لا حاجة لهم به، وقد سأل اليهود الرسول ﷺ مثل هذه الأسئلة، كما قال: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾(النساء:١٥٣)، وقوله تعالى: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي تشابهت في التعنت والاقتراح، وفي الاتفاق على الكفر على هذا النحو. وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)﴾، يقول الله تعالى: وضحنا صدق رسولنا بما أنزلناه عليه من الآيات الصادقة كانشقاق القمر، وآيات القرآن، وفيها كفاية لمن اعترف بالحق، وأنصف في القول، وأذعن لأمر الله تعالى، وهذا هو الصنف الذي رزقه الله اليقين، وهداه إلى الحق.

على المسلمين أن يعرّفوا أبناءهم وإخوانهم بشبهات الخصوم والرد عليها.. كما عرّف القرآن بشبهات أعداء الإسلام وردّ عليها

فقه الآيات وفوائدها

بتدبر آيات هذا النص من القرآن يظهر لنا من الفقه والفوائد ما يأتي:

١ - افترى اليهود والنصارى وعرب الجاهلية أعظم الكذب على الله تعالى؛ عندما نسبوا الولد إلى الله، سبحانه وتعالى عما يقولونه علواً كبيراً.

٢- الرد على هؤلاء الكذبة المفترين غاية في الوضوح لمن عقل، ورُزق حُسن التفكر في خلق الله تعالى، فالموجودات غير الله من السماوات والأرض وما فيها وما بينهما كلها مخلوقة لله الواحد الأحد، وكون الأشياء مخلوقة ينفي أن يكون منها شيء هو ولد لله سبحانه.

٣- تعنُّت مشركو العرب فيما يطلبونه كي يؤمنوا، فقد طلبوا أن يخاطبهم الله تعالى معلماً إياهم، وطلب بعضهم أن ينزل الله عليه من السماء آية عظيمة، وهذه الطلبات التي طلبوها تشبه ما طلبه الذين من قبلهم، وخاصة بني إسرائيل، وهذا يدل على تشابه قلوبهم، وقد كان يكفيهم ما أجراه الله على يدي رسوله من آيات.

٤- على المسلمين أن يعرفوا أبناءهم وإخوانهم بشبهات الخصوم والرد عليها، كما عرف القرآن بشبهات أعداء الإسلام ورد عليها.

٥- أخذ بعض أهل العلم من مثل هذه الآيات أن الرجل المسلم إذا ملك ابنه عبداً عتق عليه في الحال، لأن الآيات منعت اجتماع الولادة والملك.■

شيخ الحفّاظ في غرب البلقان «عصمت سباهيتش» يتذكّر (٢من٣)

أبي قال لي غاضباً: أريدك أن تكون «إماما» وليس «محاسبا»

سراييفو: عبد الباقي خليفة

في أربعينيات القرن الماضي، حاول بعض المشايخ الشجعان مراجعة السلطات في قرارها مصادرة الأوقاف، ولكن مساعيهم باءت بالفشل، وهُدِّدوا في أنفسهم وممتلكاتهم إن عادوا للمطالبة بإعادة الأوقاف، ومن بينهم الشيخ «محمد باشيتش»، ومجموعة أخرى طالبت بإعادة المدرسة التي صودرت آنذاك، وذلك في عام ١٩٤٨ م.. ولم يُهدَّد «محمد باشيتش»، و«حاجي بايريتش» والآخرون فحسب؛ بل أُجبروا على الإقامة الجبرية، وبقي الوضع على حاله لمدة عشر سنوات، حتى جاء الشيخ «كامورا» لرئاسة المشيخة الإسلامية.. وفي ١٩٦٢م، أصبحت المدرسة إسلامية بعد أن ظلت مدرسة تقليدية، وكان الحصار قد بدأ يُرفع تدريجياً.

لم يكن لدى «المشيخة الإسلامية» أموالٌ لدفع رواتب الأئمة فكانوا يعتمدون على تبرعات المصلين

لقد مر المسلمون بفترات تاريخية غاية في الصعوبة، منذ الاحتلال النمساوي الهنجاري على إثر «معاهدة برلين» عام ١٨٧٨م، ثم الهيمنة الصربية بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩م)، وظلت سائدة حتى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م).. وما إن حل النظام الشيوعي في أعقاب الحرب الثانية، حتى كانوا في حالة من الضعف والإعياء الشديدَين؛ حيث تعرضوا لمحاولة الاستئصال البيولوجي في الحربيْن العالميتيْن، وهجر منهم عدة ملايين، بينهم نحو ثمانية ملايين نسمة يعيشون في تركيا اليوم.

ومع ذلك، ظل هناك من يقاوم، ويحاول صنع قوة للمسلمين في غرب البلقان، بعد عقود طويلة من انحسار ظل الخلافة العثمانية في العدوان النمساوي الهنجاري، وكان للمسلمين بقية قوة استطاعوا تنظيمها لمقاومة الوجود النمساوي الهنجاري عسكرياً..

وما إن سيطر الشيوعيون على الحكم بمساعدة الحلفاء، حتى بدؤوا بإكمال ما بدأه الاحتلال النمساوي الهنجاري، والمملكة الصربية، ومملكة يوغسلافيا (السابقة) من خلال إغلاق المدارس الإسلامية، ومحاكمة المسلمين بتهمة محاولة إقامة دولة إسلامية في البوسنة، وساقوا العشرات إلى المشانق والسجون، ولم يكونوا جميعاً من جمعية «الشبان المسلمون».

«الشبان المسلمون»

وفي عام ١٩٤٨م، أعدم النظام الشيوعي عدداً من رجالات «الشبان المسلمون»، ومنهم «بيبرستوباتس»، ويذكر «عصمت سباهيتش»، (شيخ الحفّاظ في غرب البلقان، ورئيس مجلس إدارة مدرسة «الغازي خسرف بك»): أنه تم اعتقال أكثر من سبعين شخصاً بدون محاكمة عام ١٩٤٥م، أي بعد استلام الشيوعيين للحكم مباشرة.. وبعد عام بدأت محنة «الشبان المسلمون»، وفي

مقدمتهم الزعيم البوسني الراحل «علي عزت بيجوفيتش»، وكان الاضطهاد على أشده، وكانت المراحل السابقة قد أتعبت المسلمين كثيراً، كما دخل النظام الشيوعي في مرحلة قاتمة للإجهاز على ما تبقى من مظاهر الإسلام.

ويقول «سباهيتش»: لا شك أنه كان هناك تأثير كبير للنظام الشيوعي على المسلمين فيما كان يُسمى بـ«يوغسلافيا» السابقة، وذلك بقوة الحديد والنار والقمع وتجفيف الينابيع ونشر الفكر الإلحادي والانحلالي؛ باعتبار التحلل الخلقي هو «الديمقراطية»، ولاسيما على الأجيال التي نشأت في ظل هذا النظام منذ عام ١٩٤٥ وحتى ١٩٩٢م، ولا تزال آثاره بادية حتى اليوم».

ويضيف: إن «الأجيال التي سبقت النظام الشيوعي حافظت على ثقافتها وتدينها ومعتقداتها، أمّا الأجيال التي نشأت في ظل الحكم الشيوعي فقد تأثرت كثيراً ولاسيما في الجانب السلوكي، فقد أقام النظام الشيوعي المعسكرات لغسل أدمغة الناشئة، مقدِّماً الشيوعية على أنها نهاية التاريخ، وقمة ما يمكن بلوغه على جميع المستويات.. ولم يكن ذلك في ظل تنافس شريف بين الأفكار والنظريات والعقائد؛ بل كان أشبه ما يكون بنظام محاكم التفتيش؛ حيث أُغلقت مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وصودرت أوقاف وممتلكات المسلمين الخاصة؛ لمنع قيام مجتمع مدني متضامن ومتكافل في أوساطهم، ومنع طباعة الكتب الثقافية الإسلامية، أي إبادة نظام وإحلال نظام محله رغماً عن أهله، وكان ذلك الأسلوب يحمل في طياته الفناء للشيوعية، كما رأينا بعد سبعين عاماً فقط».

مقاومة صامتة

رغم كل الخروقات التي أحدثها النظام الشيوعي في البنية الإسلامية، إلا أنه لم يستطع تدمير الثقافة الإسلامية المتجذرة، وبدأت المقاومة الصامتة واستمرت حتى انهيار يوغسلافيا؛ من خلال مكاتب تحفيظ القرآن السرية، والتثقيف الذاتي، إضافة إلى العَلاقات التي كانت تربط يوغسلافيا ببعض الدول العربية شبه الاشتراكية في ذلك الحين، وقبل كل ذلك رعاية وعون رب العالمين.

ويتابع «سباهيتش»: «عندما بدأت القبضة الشيوعية تخف قليلاً، كانت هناك شروط لتدريس العلوم الإسلامية، ومنها عدم استخدام الورق والأقلام، وعدم إلقاء أسئلة وإنما الاستماع فقط.. واستمر الوضع على هذه الحال، بينما بحث آخرون عن طرق أخرى لتعليم أبنائهم الإسلام من بينها التدريس في المنازل».

وفي عام ١٩٦٠م، خف الضغط قليلاً، وفي ذلك الوقت توجه الشيخ «عصمت سباهيتش» إلى «لوبليانا» لدراسة الاقتصاد بعد إنهاء دراسته الثانوية، لكنه عاد إلى البوسنة ليعمل إماماً في «زينتسا».. كانت حياة جديدة له؛ يقول عنها: «كنتُ شاباً في ذلك الحين، وكان الناس يقدِّرون الالتزام وخاصة لدى الشباب في ذلك الزمن الصعب، ولم تكن «المشيخة الإسلامية» تملك الأموال اللازمة لدفع رواتب للأئمة، وليس لإمام المسجد سوى ما يتبرع به المصلون، وهي تبرعات قليلة جداً».

في ذلك الحين، كان ما يقوله الإمام يُسجَّل ويُحاسَب عليه، ولم يكن الإمام فحسب، بل كل مَنْ يصلي أو يرسل أبناءه إلى المدرسة الإسلامية، ولم يكن يُسمح لطلبة المدرسة الإسلامية بالسفر إلى الخارج، ويؤكد الشيخ «سباهيتش» ذلك قائلاً: «حدث هذا معي شخصياً، فقد مُنعت من الذهاب إلى إسبانيا في رحلة مدرسية.. وبعد جهد جهيد واتصالات ووساطات وغيرها، سُمح لي، وطُلب مني أن أراجع الشرطة بعد عودتي، ولكني لم أفعل».. وكان من أسباب منع الملتزمين المسلمين من السفر أنه يمكن مراقبتهم في الداخل، بينما يصعب ذلك في الخارج.

نزعة قومية

لم يمكث الشيخ «سباهيتش» طويلاً في «زينتسا»، فقد اتصل به البنك المركزي اليوغسلافي؛ ليخبره عن وجود فرصة لإتمام دراسة الاقتصاد، ويقول عن ذلك: «في عام ١٩٥٩م، أنهيتُ المدرسة الثانوية الإسلامية، وعملت إماماً في «زينتسا» حتى عام ١٩٦٠م، ثم توجهتُ لإكمال دراسة الاقتصاد في كرواتيا

رئيس مجلس إدارة مدرسة «الغازي خسرف بك»: الصرب دخلوا الحزب الشيوعي للسيطرة على يوغسلافيا

النظام الحاكم أقام معسكرات لغسل أدمغة الناشئة.. مقدِّماً «الشيوعية» على أنها نهاية التاريخ!

عامَيْ (١٩٦١ و١٩٦٢م)، ثم إلى «بلجراد» لإنهاء المرحلة الثانية عامَيْ (١٩٦٣ و١٩٦٤م)، وفي أكتوبر ١٩٦٤م، طلب مني البنك العودة للعمل محاسباً، وكان الراتب جيداً وكذلك المنصب، وعندما أخبرت أبي قال لي غاضباً: «أريدك أن تكون إماماً وليس محاسباً، ونزلت عند رغبته، وتركت راتباً قيمته ٦٨ ألف دينار يوغسلافي؛ لأعمل براتب ٢٠ ألف دينار فقط في «فيسوكو»، وعملتُ هناك إماماً لمدة ١٨ عاماً».

كان هناك ما تختلف فيه «سراييفو» عن كل من «زغرب» و«بلجراد»، وهي العواصم الثلاث التي درس فيها الشيخ «سباهيتش»، فيقول: «في كرواتيا، كانت مساحة الحرية أوسع، وكان أغلب الكروات ضد النظام الشيوعي.. وفي «بلجراد» كانت النزعة القومية أقوى من الالتزام الشيوعي، والكثير من الصرب دخلوا في الحزب الشيوعي للسيطرة على يوغسلافيا، بينما كان الشيوعيون الأصليون في البوسنة التي كانت أقل حظوة من حيث السلطة والثروة في يوغسلافيا السابقة».

ويضيف: «كان الشيوعيون الصرب والكروات يحتفلون بأعيادهم الدينية، بينما لم يكن الشيوعيون البوشناق يفعلون ذلك، وكان على من يريد أن يقيم حفلاً دينياً إسلامياً أن يتقدم بطلب، وقد غرّموا عدداً من المسلمين كانوا قد اجتمعوا لذكر الله»!

كان ذلك عام ١٩٦٦م، في فترة تراخي القبضة الشيوعية، ولم يكن ذلك نتيجة إدراك لعبث ما يقوم به النظام ضد العقيدة الإسلامية، وإنما بسبب الخلافات الداخلية داخل الحزب، ومحاولات قلب النظام وقتل الرئيس اليوغسلافي السابق «جوزيف بروز تيتو»، سواء عن طريق وزير الداخلية الأسبق «رانكوفيتش»، و«يانيوأو»، و«ماس بوكريت»، ثم زوجة «تيتو» نفسه عام ١٩٦٨م.■

هجائية الحب (١٢) «حرف السين»

سهل الزواج على أبنائك وبناتك

أ.د. سمير يونس (*)

dr_samiryounos@hotmail.com

قبل أن تصل إلى سن العشرين تقدم لخطبتها شباب كثيرون، وكان أبوها دائماً يرفض طلبهم.. مرت الأيام والشهور والسنون، ولم ينقطع من يتقدم لخطبتها وأبوها يرفض، حتى تجاوزت الأربعين!!

وذات يوم مرضت الفتاة - التي تجاوزت الأربعين ولم تتزوج - ونقلت إلى المستشفى وهي فاقدة الوعي، فلما أفاقت رأت والدها، قالت له وهي موجعة متألمة ضائقة بصنع أبيها: أبي.. أحببتك وأنا صغيرة، ولا أنكر فضلك علي، وسأظل بارة بك ما دمت حية، ولكني لا أخفي عليك أن مشاعري ناحيتك قد اعتراها تغيير، فأنت الذي حرمتني من زوج أعيش معه في بيت واحد مستقل.. أنت الذي حرمتني من عاطفة الأمومة فقد كنت أتوق للأولاد، وأن أكون أماً.. أنت الذي حرمتني من الإحساس بالاستقرار، والأنس في مملكة تحلم بها كل فتاة.. والله يا أبت لولا خوفي من ربي لشكوتك إليه، ثم بكت الفتاة بكاءً شديداً، فاحتضنها أبوها باكياً وهو يكرر: سامحيني بنيتي، سامحيني بنيتي، سامحيني بنيتي.. فقد أخطأت التفكير والتدبير، إذ كنت حريصاً على أن أزوجك رجلاً ثرياً؛ يؤمن لك حياة كريمة، فسامحيني بنيتي.

ولقد شاهدت بأم عيني وسمعت بأذني والداً في ليلة عرس ابنته يلغي عرسها، ويمنع ابنته من الزواج بمن أحبته وأحبها؛ لأن العريس لم يستجب لرغباته في شراء بعض الكماليات التي فاجأ بها العريس يوم البناء دون سابق اتفاق.

إن كثيراً من الآباء يتعسون أبناءهم وبناتهم من حيث يقصدون إسعادهم بسبب سوء التدبير، وسوء الاختيار، وقد يتعس الشاب نفسه، وكذلك الفتاة.

حكت لي إحدى الأخوات أن زوجة أخيها - التي تنكد الآن عليه حياته - رفضت أن تزف إليه في يوم عرسهما إلا بعد أن يحضر لزفافهما سيارة «همر»، وأبت أن تركب سيارة مرسيدس، فكلفت العريس ساعتين من الزمن يبحث عن طلبها، وبالطبع سببت لأهلها وأهله والضيوف مشقة وعنتاً!!

الزواج آية من آيات الله

إن الزواج حصانة وعفة وابتهاج، وسكن وأنس واندماج، وهو سنة المرسلين، ووصية خاتم النبيين، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

والزواج نعمة من نعماء المنعم سبحانه وآية من آيات الوهاب، فهو ضرورة من ضرورات الحياة، تتحقق به مصالح الدين والدنيا، وكذلك من وسائل الترابط ووشائج النسب بين الناس، وبه يتحقق التراحم وتتحقق السكينة والمودة بين الزوجين. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الروم).

والزواج طبيعة فطرية

الزواج طبيعة فطرية، وارتباط حيوي وثيق، يحفظ الله به النسل البشري في مجال الحياة، ويحقق به العفة والطهر لكلا الزوجين، وقد جعل الله لهذا الزواج نظاماً واضحاً، ليحقق به سعادة كلا الزوجين، وحفظ لهما الحقوق.

لذا فقد رغب شرعنا العظيم في الزواج وحث عليه. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ (النور).

ويقول ابن مسعود ﷺ «لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام ولي طول - أي قدرة - على النكاح لتزوجت كراهية أن ألقى الله عزبا».

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: «ليست العزوبة من الإسلام في شيء، ومن دعاك إلى غير الزواج دعاك إلى غير الإسلام».

هل تريدون عزوبة أبنائكم وعنوسة بناتك؟

- إن كثيراً من الآباء يسهمون في عزوبة أبنائهم وعنوسة بناتهم دون أن يدركوا ذلك، فقد جعلوا - بتشددهم - الزواج عبئاً ثقيلاً، بدءاً من الخطبة، ثم الشبكة، ومروراً بالمسكن وشروطه وشروط تأسيسه، وانتهاء بليلة البناء والعرس، وهم لا يدرون أنهم بذلك يغرقون العريس بديون وأقساط، تجعله تعيساً مكتئباً بدلاً من أن يقبل على الحياة سعيداً، ويفكر في مستقبل أسرته، ما أحوج الآباء إلى أن يوقنوا أن سعادة بناتهم ليست في البذخ ولا في الثراء، بل السعادة شعور جميل وإحساس عذب يتوصل إليه بالإيمان.

ما أحوج الآباء إلى أن يشعروا بعاطفة الأبوة صوب من يتقدم لخطبة بناتهم، وخاصة في ظل الظروف العصيبة التي يعيشها شبابنا، ففرص العمل قليلة، ومعدل البطالة ضخم، والحالة الاقتصادية سيئة، وإن وجد الشاب عملاً فالراتب قليل، وإيجار المسكن مرتفع، وغلاء الأسعار فاحش، فإن لم نيسر على أبنائنا وبناتنا الزواج؛ فالنتيجة محسومة معروفة، وهي العزوف عن الزواج، وتفشي الفتن، وتفاقم الانحرافات والجرائم وانتشارها.

وقد أكد علماء النفس أن الزواج المبكر هو الأنجح حتى إن تعثرت الظروف المادية، وأنه سبب الاستقرار النفسي والشخصي والجسدي، بالإضافة إلى اكتمال الدين والعفاف وحدوث الإحصان، وخاصة أن رسولنا الكريم قد بشرنا بعون الله تعالى لمن يبغي بزواجه العفاف. قال ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب، والناكح يبغي العفاف». (رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني).

(*) أستاذ المناهج وأساليب التربية الإسلامية

إن الأب عندما يفكر في زوج ابنته ينبغي أن يأخذ بمبدأ التيسير، ففي ذلك الخلاص بعد عون الله تعالى. ما أحوج الأب أن يستمع جيداً وينصت للسان حال الشاب المتقدم لابنته وقد أحاطته الهموم وثقل المسؤوليات والمتطلبات، فيلجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويتضرع إليه قائلاً:

أزل عني الهموم وكل غم
وفرج كربة القلب الشجي
ويسر ما تعسر من أموري
وثبتني على الدين السوي
وسهل كل صعب لي وحقق
مرادي في الصباح وفي العشي
وثبتني على التقوى جهاراً
وسراً طول عمري يا ولي

إن تيسير الزواج للشاب والفتاة مسؤولية الآباء في المقام الأول، بيد أن بريق الحضارة الزائفة حاد بالناس عن جادة الطريق السوي، حيث طغت الماديات، وضعفت الإيمانيات، وساد الغريب من العادات، وآثر قومنا الدنيا على الآخرة، وغرتهم الحياة الدنيا، وجذبهم بريق المغريات، وجذبتهم الشهوات والنزوات، فغالوا في المهور، وليس للبنت حول ولا قوة، ولا يُسمع لرأيها.. إن هؤلاء الآباء يجب أن يعلموا أنهم بمغالاتهم في المهور يعيدون عادات الجاهلية السحيقة، ويشعلون جذوة الفتن والانحرافات في المجتمع، فمن أجل حفنة من المال كان الرجل في الجاهلية يزوج ابنته بزوج لا ترضى عنه، ولا تنسجم معه.

الإسلام يدعو إلى تيسير الزواج

إن كثيراً من الآباء يظن - خطأ - أن البنت سلعة تباع وتشترى، وأنه كلما رفع ثمنها زاد قدرها وعلت قيمتها، ويحسب بعضهم أن البنت عنزاً حلوباً يحلبها أبوها متى شاء وكيف شاء، ويريد أن يحصل من ورائها المال، ومن العجيب أن بعضهم يفرض على العريس مبلغاً من المال يحدده هو - أي الأب - ويسمونه: «حق التربية»! وكأن الله لم يكلفه بتبعات وواجبات لتربية بنته!

أيها الأب الكريم، إن ابنتك أرقى من أن تستغلها كسلعة وتستغل زوجها بسببها، وتحبسها كرهينة لا يسمح لها بالزواج إلا بعد أن يدفع زوجها «الإتاوة» التي تفرضها عليه! ابنتك إنسانة مكرمة، ذات مشاعر وأحاسيس مرهفة، تحمل في حناياها قلباً طيباً، ولقد أوصاك الإسلام بابنتك خيراً، وكلفك تربيتها، وجعل جزاء ذلك الجنة. قال ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضم أصابعه. رواه مسلم. وقال ﷺ أيضاً: «من ابتلي - أي اختبر - من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار» (متفق عليه).

ولقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة لأمته في شأن المهر والتيسير فيه مع بناته، ولو أننا اقتدينا به في ذلك لما غصت بيوتنا بكثرة الفتيات العوانس؛ ولما صار الشباب عازفاً عن الزواج، ولما انحرف المنحرفون منهم، ولكننا شددنا على أنفسنا فشدد الله علينا. والتيسير سنة المصطفى ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

ولقد رغب الرسول الكريم في تيسير الصداق في قوله: «خير الصداق أيسره». (رواه الحاكم). وقوله: «إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها..». (رواه الإمام أحمد). ويقول أيضاً إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض (رواه الترمذي، وحسنه الألباني).

وأخرج النسائي - وأصله في الصحيحين - أن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت: والله يا أبا طلحة ما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تُسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره». فأسلم، فكان ذلك مهرها. وذاك رجل آخر تزوج بامرأة بما معه من القرآن، فيعلمها وكان ذلك مهرها.

ويقول عمر بن الخطاب: «ألا لا تغلوا في صُدق النساء، فإنه لو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله عز وجل لكان أولاكم به النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن الرجل ليغلي بصدقة امرأة من بناته؛ حتى يكون لها عداوة في نفسه، وحتى يقول كلفت لكم علق القربة». (رواه البخاري ومسلم). ومعنى كلفت علق القربة: يعني يقول لزوجته: تكلفت وتحملت لأجلك كل شيء حتى حبل القربة أحضرته لك، فكلما أخطأت المرأة كال لها المكاييل، وأذاقها ألوان العذاب، عندما يتذكر ما سببته له من ديون وانفاق، ألا فاعلم - أيها الأب - أن زواجاً كثر مهره يعظم همه، ويزداد غمه، وتكثر تكاليفه، وتتفاقم مشكلاته.. والواقع ينطق بذلك ويشهد عليه.

ويقول ابن القيم: «المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وانها من قلة بركته وسبب عسره».

المهر بين أصالة المصطلح والفهم الخ

المهر ليس ثمناً للمرأة، ولا تثمين لها، فهي ليست بسلعة تباع وتشترى، وإنما هو عطية، وحق فرضه الله على الرجل يدفعه للمرأة، ليدلل به على صدق رغبته فيها والزواج بها، وأن تكون شريكة دربه في الحياة، وليؤكد به حبه لها وأنها موضع رعايته وبره وعطفه. ومن هنا أوجب الشرع على الرجل هذا الصداق في قوله سبحانه: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا (٤) ﴾ (النساء).

والمهر الباهظ كثيراً ما يجلب المشكلات على عش الزوجية، فقد يغري الزوجة على إثارة المشكلات، لشعورها بعدم قدرة الزوج على أداء المهر الواجب عليه، وقد يؤديها أهلها فيما تفعل فيقع الشقاق بين الزوجين، عندها يفكر الزوج في حيلة تخلصه من قيود المهر الثقيل، ويزداد النزاع والشقاق، ويكثر تدبير كل طرف للآخر، فتستحيل إقامة حياة أسرية سعيدة.

ولقد سرت في مجتمعاتنا أمراض التباهي بغلاء المهور، فهذه علبة مذهبة، وتلك جنيهات ذهبية، والإنفاق باهظ، وكله بدافع التظاهر والخيلاء، وهذا كله أدى إلى عزوف الشباب عن الزواج، بل وتخوفهم من الإقدام عليه. وقد يحتج البعض بعدم تحديد الشرع للمهر.

فلماذا لم يحدد الإسلام المهر؟

لم يحدد الإسلام المهر وكميته؛ لتباين الناس واختلاف مستوياتهم وبلدانهم وعاداتهم وظروفهم، ولكن الاتجاه العام في شرعنا الميسر يميل نحو تقليل المهر، فذاك أقرب لروح الدين، فيكون حسب القدرة وحسب التفاهم والاتفاق.

ويرى علماء الأمة أن الشارع لم يحدد المهر بقدر معين، وتركه لاتفاق الطرفين الأب والزوج، أو الزوج والزوجة وتراضيهما في تحديده، مع مراعاة حال الخاطب وقدرته. قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾ (النساء).

قطوف من زواج السلف

كان السلف الصالح رضي الله عنهم يتزوجون على القبضة من الطعام، وعلى تعليم القرآن. أخرج البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إني وهبت من نفسي، فقامت طويلاً. فقال رجل: زوجنيها إن لم تكن لك حاجة. فقال ﷺ «هل عندك من شيء تصدقها؟» قال: ما عندي إلا إزاري، فقال: إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك، فالتمس شيئاً، فقال ما أجد شيئاً، فقال: «التمس ولو خاتماً من حديد»، فلم يجد، فقال: أمعك من القرآن شيء؟ قال: نعم. سورة كذا وكذا وسمى بعض الصور، فقال: «قد زوجناكها بما معك من القرآن. وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يمهرون ملء الكف من الدقيق أو السويق أو التمر. وتزوج عبد الرحمن بن عوف بوزن نواة من الذهب.■

بقلم: أ. د. رشاد البيومي (*)

رمضان الخير والثورات العربية

ها هي قوافل الخير في رمضان تهل علينا، حاملة بشائر النصر، وعلامات العزة، فقد عهدنا في رمضان أن يمن الله علينا من أفضاله ورحماته وعطاءاته الكثيرة، وأن تتحقق فيه آيات الانتصار والنصر على كل أجناد الشر، الإنس منهم والجان.

ولقد كان الفوز الكبير، والنصر المؤزر لكتائب الرحمن في موقعة «بدر» مثلاً على مر السنين والأزمان: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) ﴾ (البقرة)، وجُدِعَتْ أنف المتغطرسين المتكبرين الذين حاربوا الله ورسوله، وأزاح الله بقوته وقدرته هؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا، فاستعلوا وظلموا - من أمثال أبي جهل وأبي بن خلف والوليد بن المغيرة وأقرانهم - وتحقق أمل المسلمين في أول مواجهة مع أعداء الله.

ويُعيد التاريخ نفسه، ففي العاشر من رمضان عام ١٩٧٣م، تكررت الصورة، وفي مواجهة الجيش الذي لا يُقهر - كما كانوا يظنون - تهاوت القلاع، وانهار خط بارليف، واستسلم العدو خزياً وانكساراً، وتحققت آمال المسلمين بعدما نالوا من الهزائم ما سجله لهم التاريخ بسطور الخزي والعار على يد الحكام الظلمة.

وها نحن ندخل شهر رمضان ١٤٣٢هـ، وقد تنبهت الأمة العربية والإسلامية من غفوتها، وفاقت من رقدتها، وتحقق من الآمال ما لم تكن تحلم به، فأحاطت برؤوس الفساد، وخلعت عناصر التخاذل والهوان.

يا الله.. من كان يحلم يوماً من الأيام أن ينزاح هذا الكابوس الجاسم على صدور البلاد والعباد؟!

لقد بدأت تونس الخضراء، ورفعت راية العصيان على هذا الفاجر المتجبر - بن عليّ - الذي كان مآلاً لوزراء الداخلية العرب، الذين كانوا السيف المسلط في يد الحكام، يذلون به العباد بكل الوسائل الإجرامية المعروفة وغير المعروفة، وعاث في الأرض تخريباً واعتقالاً وتعذيباً، فهرب غير مأسوف عليه.

ولم تمض الأيام حتى انتقلت الثورة بكل ما تحمل من قوة وجسارة إلى الأراضي المصرية، وأمام عنفوان البطش والقهر والإجرام وقفت الأمة المصرية - شبابها وشيوخها ورجالها ونساؤها وأطفالها، مسلموها ومسيحيوها - صفاً واحداً في مواجهة أكبر عصابة حكمت مصر، فهدمت الأوثان، وكشفت زيف الذين نهبوا مقدرات الأمة وأموالها: ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) ﴾ (الأنفال).

لقد احتل هؤلاء العتاة تلك الزنازين التي طالما قضينا فيها رمضان سنوات وسنوات؛ كان يؤنسنا فيها الإحساس بأن عين الله ترعانا، وتربط على قلوبنا وقلوب أهلينا، وتصبح الزنزانة رحبة واسعة.

وتنسمنا نسائم الحرية، وانطلقنا في عزة وإباء.. ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) ﴾ (إبراهيم).

وينتقل مد الثورات إلى ليبيا، ليهز عرش ذلك المتكبر المغرور، ويضع أنفه في الرغام، بعد أكثر من أربعين عاماً من القهر والظلم والتخلف.

ويصحو الشعب اليمني الأبي الكريم، وعلى مدار الشهور يبقى صامداً قوياً متلاحماً، ويأبى أن ينحني أو يستكين حتى يتخلص من ذلك الظالم المتجبر.

وتهتز سورية مع الأيام، وينطلق شعبها العظيم مطالباً بحريته، رافضاً لذلك الحكم الباطش الغوي المبين.

لقد قدمت تلك الثورات الشهداء الكرام ثمناً لحريتها وكرامتها..

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وقدمت كل عزيز وغال ثمناً لعزتها، وعليها أن تحافظ بكل عزم وإصرار على تلك المنح الربانية، وأن تكمل المسيرة لرفع راية لا إله إلا الله على الأرض.

- على الأمة الإسلامية أن تتقدم ولا تتراجع، ولتتبوأ مكانها اللائق بها في العالم.

- على الأمة ألا تسمح للمتآمرين والخونة بأن يعوقوا المسيرة، أو يزيفوا الحقيقة طبقاً لمآربهم ومصالحهم.

- على الأمة أن تعي ذلك الدور الذي تلعبه الأمم التي تعادي الإسلام والمسلمين بزرع الفتنة، وإشاعة الفوضى، ولن يكون ذلك إلا بالتآخي والتوحد والتلاقي على كلمة الحق.

- على الأمة حكاماً وأفراداً أن يسجدوا لله شكراً على هذه المنة، وعلى ذلك الفضل العظيم.

- على الأمة أن تعلم أن البلاء بالنعم قد يكون أشد وطأة من البلاء بالمحن: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) ﴾ (الأنبياء).

وأخيراً أردد قول الله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾ (آل عمران).

وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ (القصص).

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾ (الحج).■

(*) نائب المرشد العام للإخوان المسلمين